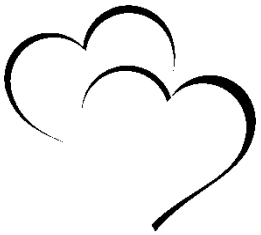

قريب بما يكفي

آلاء أشرف أبو العز

مجموعة خواطر

اسم العمل: قريبٌ بما يكفي.
نوع العمل : مجموعة خواطر.
الكاتب : آلاء أشرف أبو العِزّ.
تدقيق وإخراج فني: شركة دُنى لفنّيات تقديم المحتوى.
غلاف: أماني محمود.
إشراف عام: أسماء أبو العطا.
رقم الإيداع: ٢٠٢٤/٤٤٤٧
الترقيم الدولي:
978-977-87113-8-7

جميع الحقوق محفوظة للدار، وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية أو بأي وسيلة سمعية أو بصرية، ودون إذن كتابي من الدار يُعرِّض صاحبه للمساءلة القانونية.

قريب بما يكفي

آلاء أشرف أبو العز

عليك أن تترك قلبك هنا بالقرب من مواضع الدفء، وأن تجعله يتجاوب مع هذا القدر من البوح، ودعّه ينتفض -إن شاء- مع تلك الصرخة.

الإهداء

إلى من أمسكت -بصبرها الكبير- كفي الصغير، لتخبرني كيف يُكتب الحرف و تتكون الكلمة و كيف ترتب الجملة وتتشكل العبارات حتى تصبح نصًا دسمًا غُزل بكفي أنا الصغير و بصبرها الكبير، إلى الرائعة " أمي ".

إلى الرجل الذي مهَّد لي الطريق، وأنار به المصباح، وعلمني كيف أبدأ السير، ودلني على الوجهة، ودفعني للمواصلة كلما تعثرت خطواتي، ورافقني طوال المشوار بقلب لا يتوقف عطاؤه و محبته، إلى الرائع "أبي" إلى نفسي وكلي وكنزي الثمين، رفيق العمر وسندي الدائم، إلى أخواتي "إسراء، آية، منة ".

دفء

لكَ أنتَ

أكتبُ لك ليطرح قلبك وردًا بديلًا عن شوك الفراق والخذلان وألم الفقد، أكتب لأسقي ظمأ روحك، ولأكون اليد الخفية التي تجفف دمعك المنهمر وأحاول أن أحل محل ذاك الشخص الذي تركك لتوه بقصد كان أو عن غير عمد، أنا أسعى أن أكون لك كتأثير نغمتك المفضلة على مسامعك والراحة التي يسببها اللون المميز بالنسبة لك، وكعادتك التي تهدئ من اضطرابك، أحاول - قدر الإمكان - أن أكون كالهدية التي تريدها وأن أقدمها - بكلماتي- بالشكل الذي تنتظره وتتمناه، وبأسلوب لائق بك، وبوجودك الفارق..

سأبدو لك كما تبدو أسطر رسالة غرامية تمنيتها أنت كثيرًا، كُتبتك من أجلك أنت لتُذهب عن روحك الشقاء، أكتب إليك لأخفف من ثقل الحِمل على صدرك ولأزرع بقلبك باقات من الورود التي تشبه روحك المزهرة والتي تذكرك دائمًا بي، وتنبهك أن هناك من يهتم لأمرك ويَعنيه وجودك ويؤذيه رحيلك

الحب

عندما تجد الحب لن تجد كلمات كافية لوصفه، ذاك الشعور المُضطرب الذي يباغتُ قلبك بلذةٍ مُختلفة تجعلك كالذي ضلَّ الطريق لكنه مستمتع بكونه "تائهًا".
أمان يحيطك من كل اتجاه ليحول قلبك الثائر نبضاته لهاديءٍ، متّزن ومُطمئن، وقتما تحب لن ترى، لن تشاهد بعينيك، لن تصدق كل ما تسمعه أذنيك، سيحرّكك قلبك صوب الحب، سيحاول عقلك أن يبقيك بمكان آمن و ينجيك من عواصف الحب لكنه سيعجز لا محالة إن حاصرك الحب؛ ستستسلم بكامل إرادتك، ستتقبل انهزامك في معركة الحب بصدر رحب، ولن تحاول أن تفكر قليلاً فيما حدث وكيف، سيكون الحب هو الاختيار الأمثل و الأول والأخير.

الحب
هو أن تبدأ بعده في حساب عمرك الحقيقي، هو ما يجعلك أقوى وأرق في آنٍ واحد، هو ما يبعث سلامًا دائمًا في صدرك، هو سِرّ التواجد وطاقة الوجود.

معك

أَنْ أَجِلس بهذا الوقت بصُبحة صديقٍ وفيّ جديدٍ اعتاد كل مِنا على الآخر مُنذ ليالٍ.
منذ ليالٍ وأنا أُدقق النظر بعُمق عينه، يحاول هو تفسير كل ما يَحوي لي، وأنا سعيدة بهذه المحاولات.
أَتقرب أنا إليه بكل شوقٍ، بفضول يكاد أن يقتلني فيقترب هو من النهاية بكل قسوة!

"اجتمعنا على حبٍ"
فعشقتُ رائحته الفريدة وامتثاله برضا تام بين يديّ، أدمنتُ روعةَ عِناق عيني لعينه، استنكرتُ لجوئي الدائم إليه كمن يجد الحياةَ لأول مرة في حضرته، أحببته كأنه أول صديق وآخر مُعين وملاذي الأوحد، وأظن أنه أحبني أو ربما اعتاد وجودي الدائم واهتمامي المفرط وولعي بكل ما يحمله من تفاصيل!

" ثراء"
تلك العلاقات الغنية التي تفيض بالثراء ولا شيء غيره، فارتباطك بمن يتفق معك ثراء، و بما ينفعك ثراء، و بما يُمتعك ثراء، وفي الحقيقة هو يحمل كل هذا و أكثر.

الجلوس معه والحديث إليه، والبحث في خصاله، والغوص بصفاته، والاقتباس من أفعاله "كل هذا ثراء".
أنا معه زاهدة عن متاع هذا العالم، وسالمةٌ هُنا من حروب هذه الدنيا، وبعيدة كل البعد وقريبة منه وحده.
يتجدد عهدنا عند قَلب صفحة تلو الأخرى 'بأن نبقى' حتى النهاية..
حتى آخر صفحة من هذا الكتاب و لآخر سطر.
"وها قد حان يا صديقي موعد مقابلتك في الصفحة الأخيرة."

أنتِ لي

كانت أُمنية، حُلم، لا بل كان هدفٌ عظيم.
نَمى بفناء قلبي الثائر و تكاثر حتى أصبح هكذا.
يشبهك أنت.. "أنت" ولا أحدًا سواك.
اليوم تجسدت أمامي "دعوة" لم ينقطع يقيني بها بقلبي يومًا!
رغم عدم وجودك حينها.
كُنت أراك.
كُنت أرسم ملامحك.
أُحدثك؛ لأسمع دقات قلبي.
ألمسك، لأستشعر وجودي.
لطالما انتظرتك.
حتى جئت.
حتى أصبحت ها هنا.
حقًا بجانبي.. حقًا معي.
أنت الحقيقة بعد ليال التخيل، والملاذ الفسيح بعد أيام الضيق والتشرُّد.
أنت يا حُبي نِتاج اشتباكات عدة بين عقلي المسكين وقلبي العَنيد، نِتاج صخب روح لم تكن تهدأ إلا بحضورك بداخلها.
أنت كل مظاهر الاستقرار بعدما عانيت من الدّوار والتشتت طوال

سنوات.
أنت طريق اليقين، والثبات، بعدما قضيت أعوامًا عدة حائرة في مفترق الطُرق.
أنت كُل الفرص التي قررت بالأخيرِ أن تسنح لي وترضى عني في نهاية المطاف.
أنت الأمن بعد سنوات الفزع، أنت الصبر الذي انتصر -مؤخرًا- على الجزع.

أنت الوجع.
الذي كنت أُعانيه وحدي ليلًا.
فانقسم بذاك الوقت إلى نصفين.
نصف مؤمن بمجيئك.
ونصف كافر بكلِّ شيء!
فجأة كل الأبواب الرحبة انفتحت لي من خلالك، وتلك الشبابيك المُطِلة على مُتع الحياة كلها انفرجت أمامي الآن.
الآن.. أنا أُعلن الانتصار، وأعلن حُلو مذاق الانتظار.

هي الروح

اليوم
أنا هُنا أجلس بجانب أزهارك المُفضَّلة، وفِنجان من القهوة يُشبهك قد سُويّ على نار هادئةٍ مثلما فعلتِ أنتِ بقلبي.
أجلس بأُنسة ورود تفوح بعطرك، يُداعب -برقة- أنفي؛ فتُسقط أدمعي عَنوةً بوضع مُحبَّب لي.
تَلفح وجهي حرارة نسمة مُحملة بنفحاتٍ من الذكرى، فتسري القشعريرة بجسدي وتعتريني كل نوبات الحُب.
أنا الآن بحضرتِك، أتنفس عطرك وأملأ صدري بعبيركِ، أستمع لكلماتٍ قد سُطرت بكتابٍ يحمل اسمك، تقع الأحرف على مسامعي بصوتك أنتِ أسمع أنينك وبكائك، أرى بسمتك ونجلك، أُلاحظ شرودك، وعبثك.
"أنا أُحِبُكَ"
ينتفضُ جسدي بكل مرةٍ أقرأ بها اعترافك هذا
أتذكر هذا اليوم كأنه أمس، حينما جائني ردك وإجابتك واعترافك
"الفصل الخامس"
ثم تبتعد البطلة عنه شيئًا فشيء تاركة إياه، وتقترب منه بسرعة شديدة -لاتتناسب مع بطء هذا الموقف- وبيدٍ مرتعشة تتحسس هي جبهتها، وتضع خصلات شعرها الراقص بفعلِ الهواء بجانب أذنيها

تزدرد -بصعوبة- ريقها ثم أنهت بطلتنا تصرفاتها الغامضة تلك، بأخذ نفس طويلٍ بطيءٍ فأخرجته متقطعًا، متوترًا، قلقًا.
واتبعته بصوتٍ متقطع، متوتر، منخفض يكاد أن يُسمع: "وأنا أحِبكَ"
أنا هُنا يا "عُمري" أتفحص صورًا معلقةً على جدارٍ حزين التُقطت بعينك يومًا، أتأمل لوحاتك الرائعة بحجرة قد جمعت بين قلبينا من قبل.
وأحمل بيدي بعضًا من مشغولاتك اليدوية، وتلك الخيوط الصوف المُعقدة التي غُزلت بالحب بيدكِ أنتِ من أجلي أنا، والتي دققتِ النظر بها حتى بلحظاتكِ الأخيرة
آخر ما وقع نظري عليه هي "تلك الساعة".
المعلقة على جدار يحمل لونك المفضَّل، وخيوط من العنكبوت منزوية بإحدى الأركان، تُشاركني الأسى!
ساعة الحائط العاطلة منذ رحيلك أنتِ، تُسجل الوقت بدقة، فيشير عقرب الساعات إلى انتهاء وقتك من هذه الحياة، فيؤكد عقرب الدقائق على أن نفسك هذا هو الأخير كما كنتِ تشعُرين، ليتوقف عقرب الثواني عند صرخة مني.
يا روحي.. كل الأشياء من حولي تؤكد بأنك لست هُنا إلا "قلبي".
يجزم بأنك به حيَّة، فالمُحب حيٌّ بحبه لا بوجوده، كما كتبتِ أنتِ بالصفحة الأخيرة من دفترك
اطمئني حبيبتي لم يتغيَّر من طقوسنا شيء، فأنا هاهُنا أجلس بجانب أزهارك المفضَّلة، أحتسي- فنجال قهوة يُشبهك، أجلس بأُنسة ورود

تفوح بعطرك
وأقرأ بصوتٍ عالٍ ذلك المشهد الواقع بيننا سابقًا -بكتابك- فتتورد وجنتيكِ خجلاً، وتتسع ابتسامتك الساحرة، فتمسكي بخصلة من شعرك الراقص كقلبينا، وتضعيها بجانب أُذنك.
ثم تتركي لِي مِنكِ قُبلةً هادئةً و تذهبي.. وتذهبي!

بك أنت

وكل ما قيل عن الحب لا يكفي لوصف إحساسي في حضورك، لحظات في وجودك أنت بإمكانها بعثرة كل كياني، فترد فيّ روحي؛ لتحييني.
بعينِك نجاتي وحياتي أرى بهما حروبي وانتصاراتي، أجد نفسي بهما استثنائية، غير عادية، لا أحد يشبهني ولا شيء يناسبني، مميزة بشكل يثير غروري وجميلة لدرجةٍ تزيد خجلي.
معك أرى العالم أفضل، أرق وأهدى، وأشعر أنني أخف من وزن الريشة وأحيانًا أشعر بأن روحي تتطاير مثلها وقلبي يتراقص.
بك فقط أشعر بأنني موجودة، لا زلت أتنفس، وقلبي لا زال ينبض، وعينيَّ لا زالت ترى، ولا ترى سواك، ويكفيها أنت، ويكفيني أنت، وحديثك أنت، وسكوتك أنت، وسكونك أنت، وصخبك أنت، ووجودك أنت، وفراقك أنت، ورجوعك أنت.
وكل ما قيل عن الفراق لا يكفي لوصف إحساسي في غيابك، كل الأماكن في غيابك مخيفة وموحشة وكل اللحظات تمر بثقلها فوق قلبي، أبحث في كل الأعين عن نفسي ولا أجدني، فأشعر أنني أثقل من الحجر، وأعجز من طير مفقود الجناح، أجد العالم مزعج وشديد القسوة.
وأفتقدك مع كل محاولة للتنفس، مع كل نبضة قلب، في كل مرة أشعر أنني لا أرى، وأنني فقدت صوابي، وفقدت بصري، وفقدت حياتي بدونك أنت.

أيها الغائب

هناك من سبقك يا عزيزي وصرَّح بها
صرَّح بتلك الكلمة ذات الحروف الأربع
فقال كل ما كنت أود سماعه منك 'أحبك'
لمحت تلك الدمعة القابعة في عينه
يتحدث، فيتفوه بلسان عاشق قد تمكنت نيران الحب من قلبه؛
قلبه المشتعل الذي يتراقص على حرارة الحب واللهفة
فعلى الرغم من هذا كله، لم يستطع أن يُحرِّك ساكن بقلبي، فلم تترك لي كلماته سوى "الوجع"
لن تمنحنا الحياة -بالطبع- كل شيء
ولكن أن تعلَّق الأمر بالحب
فعلى كلٍ لن يتمكن أحدًا من قلبي سواك
فأنت الغائب الحاضر به
حتى وإن لم تسنح لنا الفرص بعد
فأنا أنتظرك
حتى و إن طال الغياب، أؤمن باللقاء
فقط حينما تسمح لنا الأقدار بذلك.

أيتها الغائبة

عَزيزتي
كل شيء هنا مُكتمل، مُكتمل بالشكل الذي يرضيكِ وبالدقة التي تعنيكِ.
وكُل الكمال هذا "ينقُصك"
يا حبيبتي قد حَلَّت بنا برودة شهر ديسمبر، ونزلت علينا قطرات المطر مع سطوعٍ بيَّن لأشعة الشمس!
لدغتنا النسمات الباردة، ذكّرنا هذا المناخ بأننا مرضى رغم التألم، أعشق هذا الجو؛ لأنه يُشبهك.
فهذه العاصفة التي هبَّت فجأة تشبه غضبك، وثورتك، وتمايل الأزهار هذا يشبه خطواتك
حتى أن قطرات المطر المجتمعة على نافذة حجرتي تُشبه أدمعك.
منذ قرابة عامين كنتِ هُنا
تروي الزهور بنفسكِ
تتحسسي القطرات بيدكِ
تُدفئي المكان بنَفَسكِ
وبالتحديد بهذا اليوم، كنتِ أول الحاضرين ها هُنا، تنتظري عودتي بلهفةٍ أفصحت عيناكِ عنها
تقتربي شيئًا فشيء، تُقدمي لي هدية يوم ميلادي
الذي لم أكن أعرف الاحتفال به إلا معك، ثم
ثم تُعانقيني كما ينبغي العِناق

تلتفُ يدكِ حَولي، ويَنغمس جسدك الضئيل بين أضلعي، ثم تَميل رأسك على صدري، وأتحسس أنا خصلات شعرك المتعرج وأهمس لك "أُحبكِ".

فتلتف يدكِ حَولي بقوةٍ أكثر، ويختفي جسدك بين أضلعي أكثر فأكثر.

الآن، أنا هُنا أحتفل بطريقتكِ، وضعت بالحلوى شموعًا كثيرةً؛ لتُشارك قلبي الاحتراق، ومن حولي هداياكِ ورسائلكِ ووعودك.

وأنتِ هُناك.

هُناك بصُحبة رَجُل غيري، وابنًا ليس بابني، وآمالًا جديدة غير تلك الآمال التي اجتمعنا عليها نحن.

عَزيزتي: أُخبرك بأن كُل شيء هُنا مُكتمل، بالشكل الذي لم نتفق عليه - بيومٍ- أبدًا.

أُكررها بكل صدق "أُحبُكِ"

أعلم جيدًا انزعاجك بمثل هذه الاعترافات ولكن دعيني أن أنل شرف حُبك، حتى و إن اقتصر الأمر على كونه محاولات مني فقط.

يا حياتي، حتى وإن لم يصلني الرد الذي ارتقبه، فأكتفي بأن عينيك قد وقعت على أحرفي هذه ،و بأن أصابعك قد لامست شئ سبق لي ملامسته.

سأكتفي بترددك، وتوترك، وعُنفك أحيانًا.
يا حُبي أنا معكِ مكتفٍ، وبكِ مكتمل، و للأبد أحبكِ.

أحبك

أدنو إليك بترددٍ لم أعهده من قبل
لم أكن -أبدًا- أحمل كل هذا التناقض بيومٍ ولأول مرةٍ أشُعر بانقسام قلبي، جزء ينجذب لك بلهفة، وجزء ينفر منك بشدة!
بعضي يركض بسرعة تجاهك و الآخر يخالفني اتجاه السير
ترهقني محاولات إخماد فكري الذي تمتلكه أنت
فيتعالى صوت التساؤلات بعقلي مجددًا
لم أنت؟
ولم الآن؟
وما السبب؟
استنفذت كل الردود المنطقية بالمحاولات السابقة فلا مفر لي من هذا الاعتراف
بأنني "أحبك" علنًا، وسِرًا، وأبدًا
ولن أسمح أن تكون أولى تجاربي مع الحب "هروب"
هروب.. يفقدنا لذة العشق، يُشعرنا بنقص دائم في التمام، ويفسد بداخلنا معالم الجمال
خطابي هذا قد سُطر به اعترافي، وباح من خلاله سِري، و أراح قلبي على كلٍ أنا غير نادمة، فلن تأت الحياة يا عزيزي أكثر من مرة!

أنتَ الحب

أراك في كل الوجوه
لا حاجة لي أن أراك، فأنت بداخل عيني، أرى فيك كل الأشياء، وكل الأشياء أراها أنت
أنت البصر الذي يغنيني عن النظر، والصوت الذي يغنيني عن السمع، والحب الذي يغنيني عن كل المشاعر
أنت أقرب لي من روحي، ساند عجزي، منقذي من ذلّاتي المتكررة
لا حاجة لرؤيتك، فأنت أخدت من قلبي مسكنًا، ذلك القلب الذي لم يعترف بحبٍ من قبل
حُب!
ولكن
لا حاجة لي بمقابلتك، بمناقشتك، برؤياك!
فروحك تعانقني باستمرار، وقلبي لا يكل من حَملك، وحروفي لا تمل من ذكرك
أرى صورتك بكل صورة، أسمع صوتك بكل صوت يفرض نفسه على مسامعي، أحس بوجودك مع كل شيء يداعب حواسي
ستبقى أنت سري الأوحد فمكانه -فقط- بداخلي، ولا يجب الإفصاح عنك
أنت ككل أمر عظيم سيُفسَد بمجرد إعلانه
أنت السر، أنت الحب، وأنت الوجه الوحيد الذي أراه في كل الوجوه.

للأبد معك

ستعود صُدفة كما تلاقينا صُدفة، أؤمن بذلك.
ستجمعنا من جديد أيام ودودة، وأوقاتًا لطيفة مرة ثانية، وسنتحدث حينها بأعيننا طويلًا حتى يسمعنا المارة، تراقبني أنت بكلتا عينيك وأتظاهر أنا بعدم الاهتمام، ننتهز أي فرصة تبقينا سويًا لوقتٍ أطول ولو لثوانٍ، نجتهد فقط ليضمنا مكان واحد، تقترب فيها أرواحنا رغم المسافات والبُعد؛ حتى يضيق الحيز الذي يجمعنا وتحتوينا بقعة واحدة، لنتشاطر الأنفس ونتبادل النظرات، فيروي كل منا زريعة عشقه المتعطشة؛ حتى تنتعش، تتورَّد وتعود من جديد إلى أحضان الحياة، ثم يرتمي كل منا في أحضان الآخر ويختبئ جيدًا بداخل صدره، وينزوي بين الأضلع، ويستقرّ وتتحدث قلوبنا بالإشارات، فتزداد سرعة النبضات وتجتاح أجسادنا هزات قوية، وتلفح وجوهنا نسمات حارة تطوف حولنا تجعلنا أكثر دفئًا، وأمنًا، وهُيامًا.
لكنك الآن لست هنا
لم أعد أشعر بأنني جميلة، كانت عيناك تنطق وتشيد بجمالٍ ساحرٍ أنيقٍ ما إن تراني حتى تعكس صورتي بشيء من المبالغة، تخجلني فتجعلني أرتبك فتتورد وجنتاي فتزداد الصورة بعينيك جمالًا و دلالًا، لم أكن أعرف أنني ذات ملامح ناعمة ووجه رقيق إلا من خلالك أنت
لم أعد أميزني الآن ولا أجيد التعرف عليّ؛ فمرآتي غير عادلة كعينيك أنت التي كانت تراني شديدة الجمال فهي عكسها تمامًا، تحمل وجهًا شديد القبح

أعلم أن ليس هناك وعود بيننا، لكنني على الرغم من ذلك لم أجزع ولم أهرول بعيدًا عن دائرات الصبر، لم يُصِبني السأم، ولم تُحِط بي هالة من الإحباط، أتمسك بأيادي الصبر كلما طالت الأيام وتكاثرت وتراكمت السنون، فلم يخذلني من قبل الانتظار وأثق أنه لن يفعلها

أتوسّم في أيامنا خيرًا وكرمًا، أشعر أنها ستجود علينا بأكثر مما نتمنى نحن، وستهطل علينا أمطارًا سخية من الفرج والعوض والمحبة، ستذيقنا بها حلاوةً و شهدًا، بعد أن تجرعنا طويلًا وامتلأت أحشاءنا بمرارة خيباتنا، واحتسينا علقم الوحشة وحنظل الانتظار على مهل حتى نهون الأمر على أنفسنا، ونأخذ بأيدينا مجددًا وننتشلها من ظلمات اليأس، لنلقي بها في خانات الانتظار، فننتظر صدفة جديدة، وموعد جديد مع القدر، وننتظر بكل لهفة مكافئته التي تطيّب أوجاعنا، وتضمد جراحاتنا، وتمنحنا فرصة أخيرة لتتّحد أجسادنا بقوة تهابها الأيام وتفزعها، لنسير معًا في الطريق ذاته، وبالاتجاه ذاته، وللموطن ذاته

حيث قلوبنا التي اشتاقت طويلًا لموطنها؛ لنختبئ هذه المرة بها بلا رجعة أو تراجع، لآخر العمر ولنهايته وللأبد.

دفء

ثمة شيء عظيم بقلبي يجعله موصول بالأمل
لا أعلم من أين جئت بكل هذا الصبر، وأنا التي تجزع سريعًا وتبغض الانتظار أشد البغض
أخاطب السماوات كل يوم، كل يوم وأنا هنا أنتظرك وأنت لا تأت
ترتفع صوت نداءاتي للسماء أستغيث وأطلب المستحيل ككل ليلة أدعو، أصلي وأتضرع، أبكي، أنتحب وأكرر دعواتي من صميم القلب بصوت عالٍ مسموع مرة، وبهمسات وهمهمات مرة
أناديك باسمك مرات كأنك حاضر بالقرب مني، وأخاطب غريبًا بعيدًا مرات أخرى.
أشعر بالغضب، كلما تذكرت أننا كنا في يوم معًا، جمعتنا فقط لحظات، لكنها استطاعت أن تغمرنا بشيء لطيف، دافئ كأنه الحب.
الحب الذي جعلك لا تلام على غيابك، فأنت لم تعدني بوجودك من الأساس.
لكنه الحب، خطأنا غير المقصود، لم نرتب حالنا لاستقباله وآتانا بغتة، لا زلت أؤمن أنك أحببتني سرًا كما فعلت أنا.
أنا من اختار وجودك ها هنا بجانبي، معي في كل ليلاتي، ليس فقط في دعواتي.
حتى لو كنت أحمل شيء من التوهم، فأنا بكل رضا أحبذ كوني واهمة، وسأختارك ولن أختار سواك.

فبيومٍ من الأيام سيصلك صوت دعائي، ستشعر بدفءٍ يحاصرك، سأكون أنا قد أرسلت إليك دفعات جديدة من المحبة وأنا أكتب عنك، ستراني بيوم أثق كل الثقة في ذلك.

ستراني أمام عينيك، واقفة كما كنت خجولة في وجودك، حذرة في حضرتك، جميلة في عينيك.

لكنني هذه المرة لن يتملك مني الخجل، ولن تفلت من فمي الكلمات.

سأخبرك بكلِّ شيء، سأحدثك عن حُبي لك، ولن أنتظر منك إيماءة بذلك، سأروي لك أنك البطل الذي لطالما تمنيت مشاركته حياتي، وأعانق عينيك بشدة، وأستطيع أن ألتقط أنفاسي حينها، سأعانق عينيك بشدة وأبحر فيهما حتى أرتوي.

كُن مُحبًا

حافظ على الحُب
حتى إن كان حبك هذا لمزيج من البُن المطحون بصحبة قطعة من الشوكولاتة.
حتى إن كان عشقك هذا تجاه صفحات رثة من قصة تقرأها للمرة الألف،
حتى إن كان هذا الحب لمقطع من غنوة بطيئةٍ، تذكرك بسرعة مرور الأحداث، وببطء انقضاء الوقت.
حافظ على حُبك.
حتى إن كان يتمثل -فقط- في جلسة هادئة لساعاتٍ أمام البحر.
حتى إن كان كل الحب يتلخص في لوحة فنية بريشتك، صورة بديعة بعدستك، جملة صغيرة مكتوبة بخط يدك، مقطع من مطلع قصيدة مسجل بصوتك.
حتى وإن كان هذا الحب هو حُبك للجلوس بجانب النوافذ، وللتصفح عبر الإنترنت، وللسير تحت المطر، وللُعبة على هاتفك، إن كان حُبك للتسوق، ولحُبك لقيادة السيارات، حُبك للنوم، أو للسهر، للتنزه، أو للوحدة، للثرثرة أو للصمت.
إن كان لمشاهدة التلفاز، أو لمكالمة طويلة مع صديق قديم، إن كان للسفر إلى الخارج، أو لإعداد وجبة شهية، أو للمشاركة في الأعمال التطوعية، ولزراعة النباتات، وتربية الحيوانات، أو لنوع طعام مفضل عندك، أو لمكان مميز بالنسبة لك، وإن كان -فقط- لهذه الأشياء فعليك المحافظة على

حبك.
لا تفرط -أبدًا- في حُبك سواء أكان لأشخاص، أو لأجواء، لعادات، لهوايات، ولأفعال، تمسّك بحبك لتلك الأشياء التي ربُما قد لا تعني لأحد غيرك أي شيء.
حافظ ثم حافظ على أشياء أخبرتك بدون عمد بأن قلبك لا زال حي، لا زال ينبض، لا زال يطلب ويتمنى ويبتهج لأشياء، ويتلهف على أشياء أخرى.
فحافظ دائمًا على نصيبك من الحُب، ونصيبك من الحياة.

نغمات الحب

كأن يعزف أحدهم مقطوعة موسيقية تعبر من فوق أذن الجميع إلاّك.
تسافر داخل خلاياك، تتعلق بثبات في أحد الأركان الدافئة في روحك وتستقر؛ تستقر لتبقيك سعيدًا حتى ولو كانت من المقطوعات التي تحمل نغماتها عطر الشجن، فسرعان ما يفوح منها رائحة الحُب، ويتوغل داخل حواسك؛ فتجد فيها أنت كل ما يحث روحك على السلام والسكون.
وكأن أنت المقصود بهذا اللحن غير المفهوم، و كأن العازف يعبِّرُ عن اضطراب روحك بحركاته الغريبة تلك، و كأن الآلة الموسيقية تنطق باسمك أنت.
حتى اللوحات المعلقة على الجدران والآثاث العتيق، ولون البحر المُطِل من خلف النافذة، و صوت عقارب الساعة المُنتظم، وكأنها تُسجل لحظات التقاء روحك بجسدك و صوت الأمواج حولك.
يأتيك شعور أنك تنتمي لكل هذه الأشياء.
أنت التائه منذ أمد بعيد، الذي وجد عالمه للتو.
نادته كل الأشياء التي تشبهه وجذبته دنياه.
لقد كنت أؤمن أن هناك علاقة جذب قوية بين الأشخاص والأشياء، يتجول الشخص بين القارات ويقطع العديد من المسافات ليبحث عن روحه، ليكتشف ذاته.. ليهتدي.
رُبما سيكلفه هذا الأمر عمرًا كاملًا.
لكن سيبقى النصر والشرف دائمًا لأصحاب المحاولات، ولِعُشاق تلك

المغامرة.
عندما تناديك الأشياء، وتجذبك الأماكن، لا تكن غبيًا، لبِّ النداء ولا تقاوم.

بوح

لغة إشارة

كنتُ أغرقُ
لكنني كنت أقاوم كعادتي الساذجة
جزء يتجه لأسفل، والآخر يطفو على السطح
توازن مخيف ينتابني، فيجعلني لا أنحاز لأي شيء
كأن الحياة لم تعد تهمني
"وكأن الموت هو أسلم القرارات في هذه اللحظة"
لِم أنا شخص هادئ رغم الغرق؟
كشخص يؤمن بسحر المعجزات، ويدرك أن النوايا تنجي، وبأن النفوس الطيبة لها حظ وفير من الفرص، كشخص يؤمن بأن هناك لحظات يجب بها إجبار العقل على التوقف، والقلب عن النبض.
الإشارات البيضاء اللامعة أمام عيني الآن تطمئنني
لكن الماء يملأ المكان من حولي!
من قبل عشقت هذا البحر، جذبني لونه الساحر، وعُمقه البعيد، وموجه المضطرب دائمًا كروحي أنا الثائرة
لماذا أقاوم الغرق؟
لماذا لم أسمح لنقاء هذه الأمواج أن تطهر آثامي
لماذا أتشبَّث بذنوبي هكذا
رأيت وأنا أتشاجر مع الماء حجم وكِبر السماء، رأيتها تملأ كل عيني لأول مرة.

لأول مرة يطرح عقلي العطن تساؤل جديد
لماذا لم ألجأ للسماء من قبل
لوهلة سحرني لون السماء وأردت أن ألمسها
لمحت ابتسامة السحب لي على الفور، أيقنت أنها هي الإشارات البيضاء التي تجلت أمام عيني سابقًا، و حتمًا تلك هي المعجزة التي انتظرتها طويلًا
الآن شيء ما في السماء يجذب قلبي لأعلى
ترى هذا يكفي؟
وكأن الحياة هي أسلم القرارات في هذه اللحظة
ماذا أريد!
ولماذا أتفاوض الآن مع الغرق؟
كشخص يؤمن بسحر المعجزات، ويدرك بأن النوايا تنجي، وبأن النفوس الطيبة لها حظ وفير من الفرص، كشخص يؤمن بأن هناك لحظات يجب بها إجبار العقل على التوقف، والقلب عن النبض، وإحكام النظر جيدًا بعمق الأشياء وما خلف السِتار.

"فالأشياء النفيسة دائمًا لا نراها إلا ونحن غارقون"

الباب الأخير

فقال:
أننا سنجد بهذه الدنيا أبوابًا عدة، سنجتاز أغلبها مُرغمين.
ستنتهي حتمًا بنا إلى حائط عظيم، لا يسع ما تبقى لدينا من حلم
وأنه لن يتبق أمامنا حينها سِوى باب واحد، سندخله طوع إرادتنا، مسرعين، مهللين.
سَينفض هو -برقة- غبارًا اعتلى سطح حُلمك وتَربع على عرش أمانيك، وسَيعدل ذلك الإنحناء القائم بظهرك، وسيفيقك من غيبوبة مَكثتُ بها عُمرًا بأكمله.
سيأخذ بيدك وقتما تنقطع كل الأيادٍ من حولك، و سيرشدك إلى أصوب الطرق.
باب واحد كأنه من نور، سيضيئ ظلمة باتت طويلًا بقلبك.
كضوء خافت سُلط تجاهك ليخبرك بأن هذا السواد لا يليق بك.
يا بُني.
عليك أن تتشبث بفرصة "آخر باب".
بميلاد حلمك من جديد، بطلوع نهار بعد ليلٍ.
وبسطوع شمس بعد عتمة!
"باب واحد بهذه الحياة يا ولدي يشبهك، وسيُفتح لك وقتما تريد"

حتى لا تنسى

عندما تصفعك الذكريات بملئ يدها، وبكل ما تمتلك من شدةٍ وجمود تذكَّر، تذكَّر من كان يشاركك العناء دون طلب أو رجاء، ومن كان معك الأول في مقدمة أخبارك، ويعلم كل أسرارك، ويعمل من أجلك كل ما كان يقدر، والأولى بالذكر وبالتذكُّر هو من كان يُقدِّر.

من كان سليمُ النفسِ، طيبُ الأثرِ، سهلُ الطباعِ، نقي الروحِ، عطر اللسانِ ورحيم القلب.

من لا يعرف لفنون العِتاب سبيلًا، من لا يُكلف نفسَك فوق طاقتها، من يعطي لنفسهِ فرصة لفهم مُرادك وتفسير أفعالك بشكل لائق صحيح تستحقه أنتَ، من لا يرى خطاياك ولا يهمه ظاهرك، من يستمتع معك بدواخل أمورك، ويُبحر في أعماقِ روحك، ويفعل كل ما بوسعه لأجلك.

تذكَّر من كان يُقدّرك حق قدرك، أو من حاول أن يفعل.

عليك أيضًا أن تتذكر من نفروا من روحك الباهتة في أول فرصةٍ لفعل ذلك، من تركوا يدك الصغيرة بلا متكأ، بلا بديل، بلا دليل.

من وعدوك بالبقاء ورحلوا سريعًا، كالسراب هم كانوا، لكنك بقيت وتمسكت بهم أكثر من مرة، فكنت وحيداً معهم و بدونهم.

تذكَّر "كي لا تنسى" جرحك الذي كان يلازمك وقتما كنت بلا صديق، بلا حبيب، بلا سند.

وتذكَّر أيضًا مخاوفك التي كانت تحيط بك من كل اتجاه أينما ذهبت، وحيثما تواجدت.

تذكَّر خذلانك لروحك مرات، وهروبك من نفسك مرَّات.
تذكَّر كل ما لك وما عليك وما بينك وبين نفسك وما يحمله ماضيك تَذكَّر.
كي لا تصاب خلايا عقلك بالركود، كي لا يصاب قلبك بالعطن، كي لا يمس روحك الظلام والفتور، كي لا تتعرض لنوبات النسيان وإنكار العرفان.
كي تكون قريب من روحك بما يكفي لفهمها والحفاظ على اتزانها، وللحصول على قدر كبير دومًا من الهدوء والسلام الداخلي؛ لتكون يقظ، جاهز، مستعد على الدوام لفتح دفاتر قديمة -بكل رضا وترحاب- ولترتيب كل الأشخاص والأشياء ووضعهم بالأماكن الصحيحة.
عندما تصفعك الذكريات بملئ يدها وبكل ما تمتلك من شدة وجمود لا تكن رخوًا، هشًا، فارغًا ولكن كن ثابتًا، جامدًا، صلدًا و فاجئها بقوتك.

بدون قناع

يا رفيق
أود إخبارك الآن بأنني مُتعب.
يحملُ قلبي ثُقلًا يتضاعف به وزني، وتقلّ معه حيلتي.
يجذب روحي لأسفل، يجعلني أمكث مكاني فلا أنهض، ولا أستطيع يُفتت طاقات الصبر داخلي إلى أشلاءٍ متباعدة.
حِمل يبعثر نبضات قلبي، يتركني أشبه بطيرٍ جريح، عيناه تتطلع نحو السماء بإيمان شديد، بينما تنزف إحدى أرجله دماء لا تتوقف؛ فتذكره سكرات الوجع بأنه جريح، بأنه مُصاب ليس من حقه التحليق، الطيران أو حتى المقاومة، عليه فقط الاستسلام.
"عندما أخبرتك أنني بخير"
كان قلبي يعتصر من الحزن، ولأول مرة ينتابه هذا الخفقان المؤلم، كنت أشعر بنار تخترق خلايا جسدي.
كنت أمامك أراك وأنا يتفتت جلدي إلى ذرات، تبتعد المسافات وتزداد الفجوات، بات جسدي أشبه ببنيان آيل للانهيار، وتراني أنت بخير حال سعيد على ما يرام، لم تمد يد المساعدة إلى قلبي المهترئ، ولم ألحظ بعينيك شيئاً من الود، لم أجد فيهما حنانًا لذكرياتنا، واشتياقًا لحديثنا، أو لهفةً لأمري، ولم أرَ "حبًا"!
كنت أراك تعيش حالة من الاستمتاع، تسكنُ بعمقٍ عينيك نظرات من التشفّي، ترمقني بها تصلني كنصل سكين حاد ينغرس-بعنف- بصدري،

مع ابتسامة انتصار سخيفة على شفتيك.
لم أكن أعلم من قبل أي شيء عن لغة الجسد، ولم أكن أعرف أن للعيون حديث!
لكنني سمعت كل حرف أردت أنت قوله، أفصحت عيناك عن حديث قلبك العطن، أخبرتني بسمتك الزائفة تلك بنواياك وخططك.
يضيق العالم بي شيئاً فشيئًا، فيتركني بلا حبيب، وبلا صديق، وبلا روح. أشعر أنني بت سجين خلف أضلعي، تحكم هي الخناق على روحي ويشتد، ذلك ما يدفع بضلوعي إلى التهشّم واحد تلو الآخر، إلى التمزق بصوتٍ مخيف، صوت يذكرني بصرخات نوبات الخذلان الصامتة.

بدون حواجز

لكن هذه المرة خانتني أحرفي، ولم أقدر على الخِداع أكثر من ذلك، حاولت ترتيب جملة "أنني بخير وأن كل شيء على ما يرام" لكن تلعثمت عبارتي الكاذبة أكثر من مرة، أكثر من محاولة في الكذب لكن هيهات.

تلك المرة لم تفلح محاولاتي في التمثيل، في الإنكار والتنكر، أحاول الاختفاء في شخصيات أخرى أفضل حالًا مني، أكثر ثباتًا مني وأقوى أنا لست بخير، وكل الأشياء هنا محطمة.. أجبتُ.

وللمرة الأولى ألعب هذا الدور "أنا" بصورتي الحقيقية، لأول مرة تتَّفِق كلماتي مع شعوري، ولأول مرة تمنيتُ لو أن حروفي خانتني من وقت بعيد، أو أنني لم ألعب أدوارًا وزنها أثقل من قدرتي على التحمل، حجمها أكبر عندي من طاقات الصبر.

تمنيتُ لو أنني من البداية لم أتجمل، لو أني لم أضع مساحيق البسمة، ولم أرتدِ زِيّ السعادة.

لو كنت واجهت الجميع بحزني، بخوفي، بضعفي.

لو تطلعت لمرآتي أجدني بها "أنا" العابث، العابس.

صاحب القرارات الخاطئة، والسقطات المتتالية، والخسارات اللا معدودة.

أنا الذي يحيا حيوات أخرى لا تخصه، ويعيش مواقف أخرى لا تشبهه، ترجَّيت الآن لو لم يسوقني جُبني إلا هذا الوضع.. لو كُنت أتمتع بشيء من القوة والحكمة يجعلني أتقبل ٠وأفتخر بكوني "أنا".

قبل الفراق

لا أعرف طريقة مناسبة لإخبارك ماذا فعل الحزن بي وكيف تركني!
كل ما يسعني قوله لن يكن مُنصفًا بالمرة، سيكن كلامي غير مقنعًا بالنسبة لك، وغير مُعبرًا بالنسبة لي، كالعادة لن يستطيع عقلك الضيق استيعاب حجم الألم الذي أصف، ولن يسعك بالتأكيد لإدراك ما أقول!
أنا والصورة التي تراها أمامك لا ينتميان لبعضهما البعض، أبذل جُهداً جبارًا لترتيب تلك الصورة، ولتعديل تفاصيلها بشكل مستمر.. الأمر الذي لا يتماشى أبداً مع عشوائيتي واضطرابي، ولكن بالرجوع إلى الأصل منها سنجدها مُحترقة، تالفة تمامًا من شدة الحزن.
كان الأمر جَليّ أمامك لكنك لم تَعِ.
ما لا تستطيع أنت إدراكه من البداية لن تجدي معه المحاولات، لكني أشعر الآن بالرغبة في الحديث، أهلكني الصمت وأماتني مائة مرة.
"تعيس ووحيد"
تلك هي حالتي وذلك أمري، لم أعلم أيهما أقسى، الحزن أم الوحدة!
أم أن الأولى تشكل سببًا، والثانية جاءت كنتيجة منطقية، أم أنه العكس!
الحقيقة أنني قضيت وقتًا طويلًا بالتفكير، إن كُنت شخص سيء فبماذا أستحق من العقاب؟
أن أصبح تعيس أبد الدهر لا يرى قلبي سعادة قط.
أم أنني أحيا بلا أنيس، أتقاسم المائدة مع حالي بلا جليس!
تهربت كثيرًا من تلك المسألة، فلا إجابة ستهدئ من وطأة الأمر، تلك

هي الحقيقة، فهذه هي الصورة الأصلية والصادقة للأمر، هذه كل الأسرار والإجابات والخبايا.

أنا شخص حزين تعيس، قد أكل الحزن عمره كله، وتغذى على أيامه، وتمكّن منه، وانتصر عليه، فلم يعد بمقدور أي شيء أن يُشكل فارقًا، أو يُحيي ما قد فنى وهلك ومات.

وأنا شخص وحيد، أمري لا يُشكل فارق كبير مع أحد، لا يتمسك شخص بي ويقدّرني بالشكل الذي أستحقه، ولم يبقَ أحدًا للنهاية كما قيل.

وحيد وكنت لا أُظهر تلك الصورة أيضًا من أجلك، لا أريد أبدًا إزعاجك، لا أريد أن تجد الصورة مُظلمة سوداء، شاحبة الألوان، خالية التفاصيل، مليئة بالفجوات، ومساحات من الفراغ بيني وبين الجميع.

أردتها تحمل لون زهرة بيضاء، زاهية الألوان، تفاصيلها مُنسجمة بشكلٍ مُمتع، تقف عند لحظات من الزمن، لتسجل عناقًا لنا، وضحكات عالية، ولقطة أخيرة طويلة تجمعنا قبل الفراق.

فِراق

رُبما كُنت أحتاج إلى يدٍ غير يدي؛ لتدفعني للنهوض، أو أن الأمر كان يتطلب جهد خِلاف جهدي أنا، حتى أُكمل به المسير.
ربما كُنت أنا الشخص الذي لا ينتظر أبدًا مساعدة، وعلى الرغم من كوني أعتمد على نفسي طوال الوقت إلا أنني تمنيت أن أميل بثقلي على كتف أحدهم، أن أميل قليلًا دون سقوط وبلا قلق، أن يتدخل أحد بلطفٍ، يشعرني أن ما زال للحياة لذة و بها رحمة.
لا تتعجب إن أخبرتك أنني كنت أرفض الأشياء وأثمناها في وقتٍ واحد، فعندما يسألني أحدًا عمَّا أحتاج فأُجيب أنني لا أحتاج شيئًا، فلا قيمة لأشياء تُطلب ولمشاعر تُشحذ!
ربما كنت لا أحتاج إلا أن أُعامَل بالطريقة التي أستحقها، كانت خطيئتي أنني أعرف قدر نفسي وأحترمها، وأتجنب كل الأشياء التي من المحتمل أن تشعرني بشيء من عدم الرضا، لا أقبل أن أضع روحي في مزادات لأعلى سعر، أن أكتفي بالقليل وأنا أستحق أن يُفعل من أجلي الأمر بشكله المثالي، وبحالته التامة، وأن يقدم من أجلي الأفضل دائمًا، وتجنبت أي أمر لا يتفق مع هذا المبدأ، وربما كانت المشكلة تكمن هنا، تكمن في أني أعرف قيمة نفسي وأقدرها وأحاول ألاَّ أعرضها للإهانة، فقد كنت أرفض أن يُتلاعب بكرامتي، لا أريد أنصاف الأشياء وبقايا الموجود، كنت أطمع أن يتوفر من أجلي غير المألوف، الشيء النادر الذي أحب وإلاَّ .. أنسحب و أترفَّع عن أي شيء يشعرني بشيء من الحوج.

خيالات

يُرهقني التفكير ويرهقني الصمت.
شيء ما برأسي يدور، يلتف ويلتف بلا رحمة.
كأنه نوع من عقابٍ على ذنبٍ لا أدركه!
خطأ ما ينتج من عقلي المسكين، يجعلني أشعر أنه توقف للحظات، أو أنه تخلى عن دوره تمامًا.
وأشعر بحالة لا أجيد التعبير عنها.
شيء ما برأسي أشبه بانحناءات راقصة سريعة الحركة، تحركها النغمات بعشوائية بلا توقف، يصفق الحشد في آنٍ واحد، ثم تدور الأغنيات من جديد فتنثني عظامها اللَّينة من جديد، فيهتز جسدها محدثًا انتفاضة تدوم طويلًا حتى يتوقف هذا العبث فجأة؛ ليعلن عن فوضى من نوع آخر، صراخ وتصفيق حاد، وبعض عبارات من الغزل ممتزجة بأصوات صفير، وضحكات عالية تصدر من أشخاص ينزوون ببعض الأركان، والبعض الآخر يشكلون بأدخنة سجائرهم رقصات وقحة أكثر جرأة وسوء من ذاك المشهد المعروض منذ قليل.
ثم يبدأ الشجار.
مجموعة من السكارى يلتفون حول طاولة بذيئة، تحمل كل أنواع الخمور والسُكر، حولها عدد لا بأس به من ذاهبي العقل والعفة، ممن يلعب القمار بعقولهم لعبًا، فتمدد يد أحدهم على الآخر باللكمات ويقابله الثاني بالطعنات، فتزيد الثرثرة والهمهمات بأرجاء الصالة.

ثم يأخذني عقلي إلى أهدى الأماكن، حيث تنعم روحي بالسكينة والهدوء، وأتمتع بمشاهدة الذكريات القاتلة، وأتحسس أماكن الأشخاص الشاغرة، وأرى صورًا لهم وأنصت جيدًا لسماع أصواتهم، وأدقق النظر في الفراغ وأنتظر مجيئهم، وأتلفت يمينًا ويسارًا ببطء وأمل، بشوق وحسرة.

"لا يأت أحد و لن يعود، كل ما ذهب لن يرجع، كل ما رحل لا يعود"

أريد أن أتغلب على كل هذه التصورات، أنفض ما يحمله رأسي من غبار كونته الأيام، وتفاصيلها، وأحداثها المتشابهة، لا أريد أن أتذكر أي شيء.

تمنيت لو أنني فقدت الذاكرة، أو حتى أنني أستطيع التحكم في جزء منها، فلا تهاجمني الذكريات هكذا، بكل هذا الحجم من الأذى!

رحلة جديدة يبدأها عقلي هناك بعيد خارج البلاد، يرجع من خلالها لأمنيات الصبا ويأخذني أنا والحبيب الأول، جرحي الأعمق، وبعض مشاعر تدخلت المراهقة بتكوينها، وألطف كلمات قد خُصصت للحب والشوق والهيام.

ولِعناق، عناق طويل اعترف به كل منا للآخر بكل ما تحمِله قلوبنا وتتحمّله، وكأنه قد مكث طوال الدهر، لا نخشى- شيء، ولا تهمنا النظرات، ولا تعنينا العبارات، ولا تفرقنا السنوات، وقبلة وداع ومحبة، ونهاية قاسية لا تتماشى مع رقة العشق، وأساطير العشاق.

لا يأتيني النوم، بِتّ أذهب إليه، أترجى مقابلته، قطعًا سيحدث بعد وقت طويل من العِند والمكر.

سأخوض من خلاله جولات قاسية وستنشأ تلك الحوارات التي أجلتها كثيراً، سألوم وأُلام ولن ينتهي الأمر بالتأكيد عند هذا الحد، وينتفض

جسدي مجددًا، وأعود بعد غياب مُهلك إلى صخب الحياة، سأمارس ما اعتدت عليه بنفس النمطية والتكرار وسأتفوه بتلك الجُمل المحفوظة والردود العادية، سأخبر الجميع بما يودوا سماعه "أنني بخير" هو شيء أشبه بإرهاق بسيط ينتهى مع الوقت.

لكن الوضع باق على ما كان عليه، هناك شيء ما برأسي يدور، فيلتف ويلتف بلا رحمة.

كأنه نوع من عقاب لذنب لن أدركه.

لستَ أنا

حالتي كحالة شخص مدخن حاول الإقلاع عن التدخين مرات ومرات حتى نفد جهده.

كمن يتوهم أنه في مسابقة مخصصة للعدو فأخذ يجري ويجري ويجرى حتى انقطعت أنفاسه، ثم يكتشف بالأخير بأنها كانت مسابقة للثبات والفائز بها هو من استطاع الصمود طويلًا بمكانه متصديًا لكل الضربات.

كشخص يطرق كل الأبواب ناحية الشمال، لكن بابه المخصص له يقبع هناك بالناحية اليمين.

كالتي تعد وتجهز لأكلة قرابة أسبوع كامل؛ لتقدمها لأشخاص لا يحبون مذاقها.

كالذي يستعد ويدرس كثيرًا لامتحان فات وعدى وقته.

أنا كالشخص الذي يستعمل يده اليسري ولم يحاول مرة واحدة أن يجرب فعل الأشياء بيمناه.

حالي كحال ذاك البائع الذي يفترش الأرض كل يوم، ويعرض منتجاته في الشارع ذاته، وعلى الرصيف ذاته، ثم يذهب من حيث أتى ولم ينقص من أشيائه واحدة، ولم يزدَد من أمواله شيئًا.

أنا ذلك الشخص الذي اقتنع بالمسلمات وارتضى بالقواعد و النظريات، فلم يعط لعقله فرصة للتفكير، ولم يرهق ذهنه في ما قيل وكيف قيل ولم قيل!

كالذي يذهب لنفس المكان من نفس الطريق قرابة عام.

أنا الشخص الذي يَعُد درج السلم واحدة بعد واحدة وهو صاعد، ويعده بنفس الشغف أيضًا وهو هابط.
كالذي يسير داخل حدود المربعات بالطريق ويعتبر أن خسارته الوحيدة هي الشذوذ عن هذا الحد والبعد عن الخط المرسوم.
أنا الشخص الذي يفضل لون واحد طيلة عمره، وشراب واحد، وشكل واحد من الزي، وطراز واحد من المقتنيات.
كمن مكث يوم كامل بكل ثبات، ينتظر شخص قد واعده منذ فترة.
كامرأة لا تحاول أن تغير لون وشكل شعرها ولا تكترث لطوله أو قصره
كالذي يستمع لمطرب واحد، ويقرأ لكاتب واحد، ويسافر لبلد واحد، مع أشخاص بأعينهم، في أوقاتٍ محددة.
أنا الشخص الذي لا يعطي لحياته فرصة للمفاجآت، يسير باتجاه غير ملائم له.
يرى الجو باردًا ولا يعترف بأنه يحتاج المزيد من الملابس، وللمزيد من الألوان، وللمزيد من الاختلاف.
أنا الذي لم يسمح لحياته بقليلٍ من العشوائية،
أنا الذي ينام بنفس التوقيت، ويستيقظ في نفس الميعاد بكل يوم
أري أنني بعد هذا العمر "لم أحيَ"
رُبما كنت شخصًا نمطيًا لا يعترف بفضل التجارب، ولا يخوض المغامرات.
كان يعتقد أنه بهذا الأمر لا يسير عكس التيار.
لكنه سمح -بكل سذاجة- للتيار أن يقتلع عمره من جذوره، فيتركه كشجرة للزينة بديعة شكلها لكنها لا تطرح أبدًا ولن تذبل، ستبقي هكذا لا تغيرها الرياح ولا يبدلها العناية والاهتمام.

كنت أعتقد أن السلام في حياةٍ مُستقرة، نمطية، كل الأشياء مدروسة، وكل التفاصيل مخطط لها.
كأني لا أعترف بمرور الوقت والأيام والسنوات والأشخاص.
كنت أعتقد أن هذا هو الأمان و أن هذه الأمور هي ما ستجعل حياتي مُتَّزنة فأصبت بكل الخلل.
حتى اكتشفت أنني أحمل عمرًا لا أنتمي إلى سنواته، وأيامًا مزقتها التكرار، ووقتًا لم أذكر منه ثوان من المتعة.
"أنا كمن يقتل نفسه كل يوم لأنه يخشى الانتحار."

لست آثم

دائمًا ما كنت أخشى ذلك الوضع كثيرًا
أن أشعر بخجلٍ مُربك وأنا أطلبُ من أحدهِم البقاء معي، وبأن يكون بجانبي قليلًا ولو لساعاتٍ معدودةٍ فقط حتى لا تتغلب عليّ نفسي وتنتصر حِيَلها على حِيلتي الضعيفة فتأمرني بسوءٍ فأستجيب.
رُبما هذا هو الشيء نفسه الذي كنت لا أتمناه أبدًا، هو أن أقف بوضوح أمام الجميع ولا أُرى، أن أتحدث بملء فمي وبأعلى صوت لديّ ولا أُسمع.
وأن أبكي، أحكي، أتحمس، أُحبط، أُقاوم، أستسلم، أَختار، أُجبر، أَقترب، أهرب، أحتفل وأبتئس، وأن أقع في مصيدة الحُب بعد عِند وحذَر ولا يَلتفت أحدًا لما أشعر أنا به.
كالمتسول أنا أصبحت أشحذ اهتمامًا من هنا ومحبة من هناك.
بتُ أشعر بخيبةِ أملٍ هائلة، مثل خيبة ذلك السجين الذي سمحوا له بالزيارة مرة واحدة في السنة ولم يأتي لزيارته أحد.
أشعر بوجعٍ عميقٍ وكأن قد مرَّ على قلبي ألف عامٍ من الحزن، وتنتابني حالة من الاندهاش باستمرار، تنتشر خلالها بعقلي التساؤلات المؤذية كانتشار النار بالهشيم، أواجهها بإجاباتٍ ساذجة أكثر أذى وأشد قسوة وعُمق.
"أنا أستحق الإهمال، ولا بُد من تحمل توابعه، أنا أستحق."
أُسِرها وأُعلنها فأنا جدير أن يُفعل بي هكذا.
وأن أُوضَع في تلك المناطق المُخيفة وأعامل بهذه الطُرق المُهينة.

فمن اعتاد أن يقدم أثمن الأشياء لديه بلا مُقابل، فعليه أن يتحمل عواقِب الاستغلال، وأساليبه البذيئة، ويرتضي بدور الواهب فقط، فلن يتفهم أحد مهما أُتقن الشرح أنه يشعر بحاجة إلى مَددٍ، وإلى سَندٍ، ربما لو انعَكَسَت الأدوار مرة واحدة لتلاشت الأزمة، وتحطم حينها ذلك الباب الزجاجي الذي يُقام بيننا، فيراني الجميع من خلفه، ولا يحاول أحد النفاذ إلى روحي من خلاله، فدائمًا كان هُناك حاجز ضخم بيننا.

ولا أخفي عَليكَ، فقد فكرتُ بما تُفكِّر أنتَ الآن به.

" أنني شخص سيء"

أناني، لا يُحسن المعاشرة، غريب الطِباع، مُرهِق التفاصيل ومُخادِع، فقد وضعتُ أنا من قَبلك كل الأسباب الكافية لكُرهي، ولكن هيهات أن تنطفئ تلك النيران.

مرة أخرى أعيد مع نفسي الحسابات، أُهذِّب روحِي بالعتاب، أُكافِئها بلومٍ خبيثٍ يُوقِظ آثامها من غفلتها فأُكفّر عنها مهما كَلَّفني الأمر وأعياني.

بجلسة محاكمة صارمة أقمتها مُجددًا، وأُمثل أنا بها الخصم، والحكم، وكذلك أيضًا شهود عِيان على فعلتي، وأُوكلُ نفسي محامي؛ ليقدم البراهين والأدلة الكافية لإثبات سلامة نيتي وحسن تصرفي؛ للدفاع عني أمامي؛ حتى أتفادى ظُلم نفسي كالمعتاد.

" أنا لست آثمًا"

ثم أتذكر المرات التي جاءتني بها وعود جَمة بالبقاء وبالأبدية؛ فيتشوش حُكمي على نفسي قليلًا، وتهتز الصورة أمام عيني، وأرتبك.

لكني أتذَّكر أنني لستُ آثمًا، فلم يشتكِ أحدًا من قبل منِّي، ولم يواجهني أحدٌ بذنبٍ اقترفته بحقه، ولم يوجه شخصًا ما لوم تجاهي أو لَمَّح لي بشيء

يَبغضه بتصرفاتي، شخصيتي، وطريقتي.
يأتيني من الكل الكثير من الثناءات وعبارات من المدح والشُكر، وهذا ما يُثبت صِحة حُكمي "بأنني لستُ آثمًا"ولستُ سيئًا، وإن كان يوجد هناك قُبح في تلك المسألة فهي تكمُن في أولئك الذين تَسلّلوا خِفية عندما شَعرنا نحن بالاحتياج إليهم.
هم الذين يقفون بعيدًا خلف الأبواب الزجاجية وأعينهم مُسلطة تجاهنا، وقلوبهم لا تحتوينا، هم ذاتهم أولئك الأشخاص الذين أمطرونا بالوعود الزائفة، والمشاعر الكاذبة، والأحلام الواهية.
هم من أتذكرهم أنا بثُقلٍ وضِيق كُل مساء وكل صباح، وأراهم بوضوح بالغ بكلتا عيناي، ثم سرعان ما يتحولوا إلى سراب سخيف.
أعلم أني مُذنب في نظر أحدهم، ولكنني لا أحمل كل هذا السوء لدرجة تجعلني أفتري على نفسي من أجلهم، وأن أظلم حالي سعيًا لبراءتهم.
"أنا لست سيئًا مطلقًا، الحقيقة هي أنني كُنت حَسِن بشكلٍ لم يَستطع أحدًا تَقبُله."

أما بعد

ستكون وَسط الزحام وحيدًا، ستتعرَّف من جديدٍ على شخصك أمام المرآة، ستبذل كل ما في جُهدك للتأقلم معه، ستفعل كل ما لم تكن تتوقعه يومًا.

ستلجأ لأيّ شيء يثبت أنك سليم، أنك على ما يُرام، ستحاول أن تظهر بشكل لا يُثير الشفقة، ستسعى أن تتجاهل كل شيء، فحدوث الشيء من عدمه سيصبح له عندك نفس الأثر.

ستكتشف من بعيد ما كان يصعب عليك اكتشافه عن قُرب، ستتضح لك الصورة بأكملها.

فمن الغريب حقًّا أنه يجب أن نبتعد كي نستنتج، ولكي نعلم حقيقة الأشياء تفصيليًا، وأن اقترابنا منها لا يزيدنا إلا جهلًا.

ستحاول العثور على تفسيرات منطقية، وستسامح بكل ما لديك من قوة.

أخبرك الآن يا ولدي بهذا الحال، فمثلما يوجد حب، شوق ولهفة، يوجد كره، إهمال، وبُعد.

فكل من يلازمك الآن توقع بُعده، وكل ما تعتاد عليه توقع نسيانه، كل ما يثير اهتمامك توقع إهماله، كل من يقترب منك توقع اختفاؤه، وكل ما يشغل تفكيرك توقع تذكره بالكاد فيما بعد.

لا شيء يبقى على حالته الأولى، لا شيء يظل كما وجدناه أول مرة، فالتغيير شيء صحي، بل صحي جدًا، ستجد كل ما يحيط بك يتغير؛

عليك -فقط- أن تواكب هذا التغير، عليك ألاَّ تكون صلبًا أمام كل هذه الضربات؛ حتى لا تصبح بعيدًا وحيدًا تائهًا، كي تتقبل البُعد والكره والحب الشديد والاهمال أحيانًا، حتى تتعامل بسلاسة مع التغيير الدائم للمشاعر، وتغيير المواقف، والأشخاص، والأهم، حتى لا تضطر يومًا لاستخدام كل هذه الأساليب السابقة!

محاولات

كل ما أفعله هو أنني أُذّكر نفسي دائمًا ما هي مسببات السعادة بالنسبة لي، من هم أهم الأشخاص في حياتي، أخشى أن أصبح في يوم بلا هوية، بلا ملامح، بلا حياة.

أن تذبل داخلي كل الورود، وأن تبور أرض قلبي الخضراء، أن يتخذ قلبي لونًا غير اللون الأبيض، أخشى أن أستيقظ في يوم بعيد ولا أرى نفسي فيه، لا أجدني، أفشل حينها في التعرف عليّ، أخاف أن تعبث بروحي الحياة فتلقيني أنا بمكان وتلقي بروحي في مكان آخر.

فكل ما أحاول فعله هو أني أُذّكر حالي ما هي طبيعة الأشياء التي تجعلني في مزاج رائق و حالة طبيعية، وتبعث الرضا والسلام بنفسي.

أتساءل مرارًا من هم الأشخاص الجيدون بحياتي، أُحصيهم على أصابع اليد الواحدة، أُردد أسماءهم كي لا أنسى، أخلق لهم الأعذار كي لا أكره، أعتذر بالنيابة عنهم كي لا أنسحب، أحاول أن أبقيهم بأماكنهم وبمكانتهم وبترتيبهم الأمثل.

الهوية يا سادة هي سر تميزنا واختلافنا، هي السبب وراء بريق الأعين وسطوع الحلم، نتشارك في أسمائنا، أعمارنا، أشكالنا، ثيابنا، دراساتنا، حالاتنا ووظائفنا، ما يجعلني شخص فريد هي الهوية، تلك البصمة الخاصة بي التي لن يشاركني أحد بها، ما يجعلني إنسان حي هي ملامح شخصيتي أنا.

عندما أجد ما يجعلني سعيد، مستقر، هادئ، متحقق ومُتَّزن.

وأعرف جيدًا من هم الأشخاص الجيدون بالنسبة لي، والأماكن الساحرة، واللحظات الرائعة، والأجواء المفضلة، وترتيب كل شيء، الحقيقي، المنطقي.

وقتها ستكتمل ملامح شخصيتي، ستصبح الصورة أكثر وضوحًا، سيصبح الحلم أشد سطوعًا، وستكون النهايات مُرضية.

"فعندما تجد نفسك ستجد بعدها كل شيء."

بلا حياة

ثم اكتشفت أنني لا أنتمي لتلك الأشياء التي أحبها، وأن كل ما يحاصرني هي الأشياء التي أبغضها كلها.
ثم وجدت أنني لا أحيا الحياة، وما مفهوم الحياة الصحيح بالتحديد، لا أعرف!
كل ما أعرفه أنني أعيش بالطريقة التي لا أرغبها، أستمع إلى الحوارات التي لا تعنيني، أزور الأماكن التي لا تجذبني، أرتدي الملابس التي لا تتماشى مع ذوقي أنا، وأردد الكلمات المناسبة فقط وأحتفظ بآرائي لنفسي، ثم إنني أحاول كثيرًا كي أجبر عقلي على عدم التفكير بمثل هذه الطريقة، وأن أوهم نفسي وإياه أن هذه هي الحياة، وأن ثمة أشياء كثيرة يريدها المرء ولا يحصل عليها بدون أسباب.
"بدون أسباب"
أرددها مرات ومرات حتى تتلاشى كل التساؤلات المُرهقة بعقلي، إلى أن يصيبني الدوار مرة أخرى وأشعر أن رأسي يهتز، وعقلي يدور؛ حتى يغلب عليّ البكاء أو الصمت.
ومن بعدها أختر أسهل القرارات، وأسعد بأقل الأشياء، وأحاول أن أندمج مع كل ما يزعجني، وأعتاد وأجاهد كي أعتاد.
لأصل للوضع نفسه، فأكتشف بالأخير أنني لا أنتمي لتلك الأشياء التي أحبها، ثم أجد أنني لا أحيا الحياة، ولم يعد أمر الحياة برمته يهمني!

أنا حيٌ

لماذا لم نُدرك قسوة هذا العالم منذ الصغر.
لماذا لم نعلم حينها أن هناك ما هو أقسى من الموت؟
لماذا لم نكن نعلم بأن للحياة وجع أشد من وجع الموت بمراحل.
"الحياة"
ماذا تعني هذه الكلمة!
ولماذا نستخدمها في غير موضعها دائمًا، إن لم نكن نعيش تلك الحياة التي رَسمها خيالنا بعشوائية في أعوامنا الأولى، فلماذا نسميها "بالحياة" إذن!
إن لم نكن نستقبل يومنا الجديد بسعادة ونودّع يوم قديم سعيد بحفاوة فلماذا نلقّبها "بالحياة"!
فأين الأمنيات المتجددة بنا، واستعدادنا الدائم للبقاء، وأين آثار خطواتنا بالحياة، وضياء الأمل المنعكس بأعيننا!!
هل ذهب هذا كله مع كل ما رَحل!
وتركنا ها هُنا بلا هُويّة، بلا أمل، بلا هدف، وبلا خطوات تُذكر..
تختلس الحياة يومًا بعد يوم أعمارًا من أعمارنا الصغيرة، فتقدمنا بكل ودٍ كهدية للموت.
لا، لم يحن الآن موعد الرحيل.
فأنا بمسألة الحياة عنيد، لن أستسلم أبدًا، وما زالت معركتي مع الحياة مستمرة.
فإمّا غالب وإمّا غالب، فلن أقبل أن يكن نصيبي من هذه الحياة "موت".

فرصة

كأن تكتشف بعد عمر طويل أن الأيام تسير كما لم تُخطط لها بيوم، و أن كل ما وعدوك بالبقاء رحلوا في الفرصة الأولى لفعل ذلك الأمر.

وأن شتان بين ما تحياه الآن وبين كل ما ورد يوم بخيالك؛ لتكتشف فجأة أن هذا العمر لا يخصك أنت ولا تحمل سنواته شيئًا يشبهك، كأن هناك من عاش كل هذه الأيام التي أصبحت الآن من نصيبك!

فتجد أن حياتك الفارغة أصبحت أكثر تعقيدًا من ذي قبل، وأن هناك تل من القرارات المعلقة التي لم تلق لها بال، والعديد من العلاقات المُهدمة لسبب أو بغير أسباب، وهناك الكثير من الأمور التي تفزعك وليس هناك أي شيء بمقدوره أن يهدئ قليلًا من روعك.

بعدما أدركت أن الأيام تمر بلا رحمة، تتوقف قليلًا لتلقي النظر على حالك فتجد نفسك جامد "لا تقاوم".

لا تقاوم، ولا تفعل أي شيء لإيقاف هذا العمر عن العدو، أو حتى مجابهة تلك السرعة برد فعل سريع مناسب.

بل تتفاجأ باستسلامك التام لكل ما فات، ورضاك بالوضع الحالي، ثم تكتشف أنك أول من سعى لقتل نفسه ووأد روحه.

بعد حين ستدرك أنه قد فات من الوقت كثيرًا، ومن العمر عمرًا، لكن ستعلم جيدًا بأنه ليس هناك وقتًا مناسبًا ولا سنًا ملائمًا.

كل نهار هو نهارك المناسب، وكل وقت هو هديتك النفيسة، وكل يوم هو فرصتك الجديدة، وكل مساء هو مقاومتك المتجددة وكل صباح هو أنت بشكل جديد.

متاهة

كُل الأشياء مُعلَّقة، نِصف كاملة ولا تسع للتمام
تتمركز في مُنتصفٍ مُخيف لا تتجرأ على الحِراك يمينًا أو يسارًا
ثابتة ثبات مُميت، تدعي الاستقرار لكنها تتأرجح بخبثٍ، يكاد أن يصيبك بالدوار.
تستقر الأوضاع أو هكذا تتوهم أنت، ولا جديد غير أنها لا زالت لا تعرف سبيلها ولم تهتدِ لمسار.
لا شيء أكثر أذى من حَملك أشياء لا تعرف مصيرها، لا تصل مهما عانيت لنقطة نهاية، لم تنَل من حساباتك نتيجة مرضية، أو حل مثالي.
كأنها متاهة وقد كتب عليك التيه بها والضلال.
كأنك قد خُلقت لتلقى تلّ من القرارات المُعلّقة فوق كتفيك ثقيلة الحمل، شديدة التعقيد، كثيرة التفاصيل تزدادُ تشابكًا كلما حاولت معالجتها.
تغدو كحجارة ضخمة تتكئ فوق صدرُك، تكاد أن تنقطع أنفاسك من أثرها، لكنك تقاوم، تريد الوصول، تريد الهِداية، يفزعك المنتصف بعدما كنت شخصًا يخشى النهايات.
أصبحت تتمناها وتُقدّرها، فالنهايات وإن كانت مؤلمة فهي أهون من حبل ذائب، وخيط متقطع، وطوق نجاة مهترئ وأحلام واهية لا تسعك وقدر لم يكتب من أجلك.

فراغ

لم نعد نرتاب كعادتنا، لم نعد ننتظر كطبعنا، لم نعد نثق كما يجب.
نضجنا أكثر مما يجب، وشاخت ملامحنا، وتقدمت روحنا بالعمر أكثر مما ينبغي.
فلم يعد للخوف معنى وأثر، التعريف الأدق للانتظار هو محاولاتنا للإنكار الدائم.
فالثقة هي شكل آخر للشك، وكل الأشياء باتت تحمل المفهومين معًا، لا ثقة تدوم ولا شك يستمر!
لم نعد نتساءل، ما كل هذا الفراغ.
ربما قضينا عمرنا بأكمله نبحث عن إجابات تخفف من الريبة، تلهمنا الانتظار، و تُعلّي معدلات الثقة.
"لم نكن نبحث عن الحقيقة"
بحثنا عن أعذارٍ ومبررات تطفئ نيران الشك، تجبرنا على الكثير من الانتظار وتهدئ من حدة الوجع.
"كل هذا الفراغ" أصبحت إجابة لا سؤال.
تحولت إلى رد لبق، وتوصيف مناسب، وجواب عميق.
الأمر يحتاج لكثير من الصراحة والشفافية.
لا أحد هنا، ربما لو تحول سؤالك عن شيء أهم من الأشخاص كنت سأستطيع إعلامك باستفاضة عن استفهام، لكنني -صدقًا- لا أعلم.
أفنيت وقتًا طويلًا حتى أعرف، لكنني فشلت.

والآن أنا لا أخشى من الاعتراف بالفشل.
لا شيء يستحق ثقتي الكاملة به، لا أمر يستحق الانتظار المبالغ فيه، ولا خوف.
"لا خوف"
عدم الخوف هو الأمر الذي سيبقيك سعيدًا.
أن تصبح بعد عمر من الرهبة و الحرص "مجازفًا" وقتها سيأتيك الرد دون عناء، ستتجلى الحقيقة بشكل رحيم أمامك.
عندما حاولت بالأخير التأقلم مع الأوضاع كما هي دون بذل محاولات للتفسير، وقتما تركت الأمور تسير بطريقها دون عرقلة الاستفهام والتحليل، وحينما أدركت أخيرًا أن تمسكي الشديد هو ما يفسد كل الأشياء.
"كل هذا الفراغ"
أخذت هذه الجملة شكلًا من أشكال التفاخر، نوعًا من أنواع التباهي، صورة من صور الاحتفاء.
كل هذا الفراغ يبرهن أنني أستطعت وحدي، يشير أنني اهتديت مؤخرًا إلى احترام روحي، كل هذا الفراغ يؤكد أنني لن أقبل مجددًا بأقل مما أستحق.

بوح

يقولون أن كل قارئ يتمنى أن يصبح بيوم كاتب!
ولكني أنا القارئ الذي لا أرغب ذلك أبداً على الرغم من ممارستي للكتابة و حُبي لها.
فما دمت أستمتع بما أقرأ، فلماذا أخوض تلك التجربة القاسية إذن؟
لماذا أسعى لحشد الجميع وكشف مواضع جرحي أمامهم، فأرى من بعيد نظرات تحمل الشفقة ونظرات تحمل الود ونظرات أخرى تحمل التشفي.
شئت أم أبيت سيحملني سطر ما في رواية.
وستتحملني أحرف عدة، وستمثلني أخرى.
وستحتويني صفحات وسيضمني كتاب.
فلماذا أظهر نفسي على حقيقتها الموجعة، لماذا لا أتوارى خلف سِتار، وبعض من الكلمات التقليدية والتعاملات العادية!
لماذا أسعى لأن أصبح كاتب!
لماذا ينجذب المرء دائمًا لما يؤلمه، فيمر على جرح قد رمم لتوه، لماذا يكرر المرء أذى التجربة مرتين!
لماذا لم أكتفِ بكوني قارئ جيد، يندمج مع أحداث القصة حتى ينهيها بسعادة فحسب!
الكُتاب جميعهم لديهم شجاعة لست أملكها، عندهم قدرة عظيمة على البوح.
"لا شيء فوق الذكر"
هذا مبدأهم

وأنا أجبن من أن أذكر مخاوفي وزلاتي، أضعف من أن أقف بثبات وأنا أتذكر موقف معين مررت به ومر من فوق قلبي فأماته.
ربما لدي الكثير للحكي، لكنني لا زالت أفضِّل أن أنظر من بعيد، لا أمتلك شجاعة التعبير و جرأة الإفصاح، ولهذا فأنا سأظل هنا خارج صفحات الكتاب.

تمرّد

كُل مساحات الفراغ أصبحت تخيفني وتخذلني، أخشى- أن ألجأ بثقةٍ إلى إحدى أركان الفراغ وأنا أظنه أمانًا ومَسكَنًا.
فأجده خاوٍ خالٍ فارغ من كل الأشياء وناءٍ عن الحياة ومظاهرها وما عليها.

أجدني بالأخير ككلِ مرةٍ وحيد، يأكلني الفراغ أكلًا ويتغذى الوقت عليَّ ويتركني إلى نفسي- اللوامة فتلومني أشد اللّوم وتُعنفني وتتَّهمني بالسذاجة وتتشفى بي وتتجنبني كالجميع؛ حتى أعود إليها من جديد وتعود إليّ مُضطرة على ذلك فمهما افترقنا سنعود، فهذه هي الحقيقة المؤكدة الوحيدة في كل هذا الفراغ.

وأنا عندما حاوطتني هالة الحُزن انتفضت روحي غاضبة، ثائرة، كانت تَعلم تمام العلم أن اللون الأسود لا يليق برونقها، وأن عبارات الأسى ونبرات الشجن ومحاولات الانسحاب لا ترضيها.

عندما تمكَّن منها الانكسار نهضت، تمرَّدت، وانتصرت واستأنفت تُتابع خطواتها الثابتة، وحافظت على لون الحياة بعينيها، فرسمت لوحةً بديعةً تحمل كل أنواع النصر- والسلام، وألَّفت قصةً طويلةً هي بطلتها الأولى بها من حكايات النجاح والفلاح والكفاح كل ما يستحق الصمود والمقاومة والاستمرار والتحدي.

حتى النفس الأخير

من أقسى تجارب الحياة التي ستواجهك هي تجربتك في العودة إلى نفسك.
أنت الذي أرخيت يدك عن الدفاع عن حقك في نفسك.
فأصبحت غيرك بكل بساطة وانسجام، أصبحت آخر من ترغب أن تكونه، شخص عادي لا يستطيع الغريب عنه أن يميزه بشيء ما عن بقية الأشخاص، شخص يحمل نفس أطوار الفئة العادية من الناس.
يتحدث مثلهم، يأكل مثلهم، يعمل مثلهم حتى أنه يمارس الحب مثلهم
شخص ترك نفسه للأمر الواقع؛ فدهسه ومزقه وفتته حتى أصبح لينًا في يده، فأعاد هو تشكيله من جديد.
كانت كل تهمته هي أنه تقبل الأمر الواقع و تعايش معه، لم يمارس العناد والتفاوض كما اعتاد، لم يتحدَّ ظروفه ككل مرة، لم يلعب دوره في الحفاظ على بقائه، وعلى هويته، وعلى وجوده بالشكل الذي يستحقه، بل إنه أفلت يده تلك المرة تمامًا، تخلى عن إصراره عن أشياء بعينها، ابتعد ربما ينتظره في الابتعاد شئ أفضل، لم يعد يتمسك لم يعد يطمح لم يعد يحاول وترك الأمر برمّته وتعهد ألاَّ يلتفت.
ثم إنه أخيرًا فشل في الاستغناء عن نفسه، عجز على أن يكون عاديًا للنهايةِ، كأنه قد صُدم لوقتٍ طويلٍ ثم خُدر وتعالج حتى طاب وانتقل إلى الإفاقة كي يتعافى كليًا؛ ليستأنف مشواره الطويل.
لا عيب في أن يصبح المرء عاديًا لاشيء يضيفه ولا يضاف إليه، أن تنتصر عليه دنياه مرات وأن يسحقها هو مرات أخرى، أن تهزمه الموجات

فتوشك على إغراقه وأن يكرر الإبحار مادام قادرًا على التنفس والحركة.
أن يعلن راياته البيضاء تارة، وأن يخرج من ساحة المعركة تارة أخرى منصورًا، لا عيب في أن يكون الإنسان إنسان يخطئ ويصيب، يسير ويتعثَّر، حتى يستجمع قواه ويلملم شتاته ويغلب هشاشته ويقف على كلتا رجليه بالكاد مرة بعد مرة حتى يتكمن من الوقوف، أن يتأرجح بعض الوقت ويثبت أوقاتًا ثانية لا شيء يؤثر على اتزانه، ولا شيء يشعره بالخلل.
العيب هو أن يتجرد الإنسان من كونه إنسان، فيصبح حكمًا على نفسه لايغفر خطاياه ولا ينساها، لا يرضيه إلاَّ الأشياء الكاملة، يؤنبه ضميره ويعذبه فكره.

"الشد المستمر هو الذي يتسبب في القطع التام."

ليتنا نتقبل أرواحنا في ذبولها، ليتنا نصاحب عتمتنا ونسامح باستمرار أنفسنا و نتسمك بها مهما اشتدت الظروف وقست، لو أننا تعلمنا كيف نحب ذاتنا لذاتنا، غير مقترنة بأشياء أخرى، إن غابت غاب هذا الحب، وأن نتحد معها لمجابهة كل شيء وأن نكون مرنين بشكل كاف، يجعلنا لا نرخي يدنا عن الدفاع عن حقِنا في أنفسنا أبدًا حتى النفس الأخير.
إن كانت العودة إلى النفس من تجارب الحياة القاسية، فإن اللاعودة هو شكل من أشكال الموت الرحيم.

صرخة

لقد نفذ رصيدك

كف عن البحث عنها.
لا تنتظر سماع صوتها في كلماتي، لا تُطِل النظر إلى وجهي هكذا فلن تَجد صورتها ترتسم على ملامحي، لا تلمس يداي وأنت شارد تتغزل بالفراغ فلن تستطيع تَذكرها في حضرتي!
سأُفسد عليكَ الأمرَ ككُلِّ مرة، وستقدم اعتذارك وأسفك بكل وسائلك المتاحة، وستندم أشد الندم وسيعتريك كذلك بعض شعور بالذنب تجاهي وبعض شعور بالحسرة على حالك.
أعلم ماذا يدور في عقلك وأنت معي، أو بشكل مُرتب "وأنت معها."
أُراقبك وأنت تحاول تبديلي، تحويلي إليها وصُنعي من جديد، تحدثني بنبرة عاشق وأنت تطلب تغييرًا كاملًا كي أصبح نسختها المطورَّة بشكل يليق بغرورك، أُتابع أنانيتك وأنتَ تُريد أن تُسجل-من خلالي- نهاية رائعة لقصة عشق لم تكتمل!
لمرة تزيد عن الألف.
تأتيني وأنت حامل كُل ضعفِ العالم في عينيك.
ومُرتاب، خائف خوف لا يليق برجل، تنتحب وتبكي بكاء طفل صغير أدرك بعد رحلة من التجول واللهو بأنه قد تاه!
لقد فُقد وفقد ما يملك بشكلٍ يُثير للشفقة ويُجبر على الصفح والسماح، فلا فائدة من النبش في ماضي ولى، لا فائدة من عتاب تائب، ولا فائدة أبداً من سؤال تائه كيف تاه!

"لا فائدة منك، ولا فائدة معك" هذه هي الحقيقة والحكمة التي استنتجتها في بدايات الوجع، وقتما قدمت لي وردة بيضاء و ذكرت بأنني جميلة وبأن الوردة تشبهني وأنت تنطق باسمها هي، عندما اصطحبتني إلى ذات الأماكن التي لا زالت تحمل عطركما وتنقش وعودكما.

قِف عن تكرارها فيّ، أنا لست أشبهها ولن أكون هي مهما صنعت.

لا تعتذر هذه المرة، ولا تحاول أن تجعلني ضعيفة مثلك، الحب الممزوج بالضعف حب هش لا يدوم، كأن خطيئتي هي أنني امتلكت طاقات واسعة من الغفران لم تكن أنت جدير بها من البداية.

لقد اخترت أنت أن تظل تائهًا مشردًا ضعيفًا تسير على هواك وتفقد هويتك!

وسأختار أنا نفسي كما هي، وسأحافظ على هويتي وأتمسك بها وسأنقذها مهما كلفني الأمر، لقد ذُقتُ في مرات اختياري لك معنى الموت، والآن أرى بأن الحياة حق، والحق أحق أن يُتبع.

لا تحزن يا عزيزي ولا ترتجف، لا تبك ولا تبتئس.

كل هذه الأنانية التي ترى هي درسًا قاسيًا تعلمته على يديك أنت، فلتغفر لي كما فعلت أنا مرارًا.

وكُف عن البحث عنها فيَّ، واتركني وارحل.

ما وراء القلوب

وأنا يا عزيزي لا أنتظرك.
حتى وإن كان ما تظهره عيني غير ذلك.
حتى وإن كان قلبي لا يحيا إلا بحضورك، أنا لا أنتظرك.
الحقيقة أنني عَشقت غيابك هذا، كما عَشقتك أنت من قبل وأكثر.

برحيلك أيقنتُ يا أنتَ حجم قوتي المساوية تمامًا لحجم ضعفي معك، أدركت أنني سعيدة بمقدار حزني مِنك، عرفت أنني عدوانية بحجم ما أحمله داخل قلبي من سلام، وعلِمت كم كنت مخطئة بمقدار ما أحمله أنا الآن من صواب!

الحقيقة هي أنني أُجاهد بشدة كي أبقى هكذا، فأخوض كل يومٍ مع قلبي جولة من العنِد، فلقد تعلمتُ على يديك أبشع مظاهر القسوة والأذى، فأُجرد قلبي من كل المشاعر، فأتركه أجوف شاغرًا تمامًا من كل ما لَك، وما عليك، أُحدثه بلين تارة كما كنت أُحَدثك أنتَ، وأُعنفه تارة، كما اعتَدت أنا منك.

يا قلبي.
القلوب ليست مثلك، ولا تُشبهك.
فقلوبهم تُتقن الغدر، تتغذى على الأذى، تنبض بالخيانة، تفيض بالكُره، ولا يفوح منها إلا رائحة الشر.
"أنا لا أنتظرك"
وهذه المرة أعي تمامًا ما أقول.

فلم يعد هناك بقلبي مكان ليسعك، ولم يعد هناك من الأكاذيب ما أوهم به نفسي ليلًا.

ولم أعد أراك

أنا حقًا لم أعد أراك

صورتك اهتزَّت –بشدة– بعيني؛ حتى هوت، سَقطت، تَدنت فتهشمت بشكل يُثير الشفقة والأسى!

الحقيقة أن انتظاري لك ما كان إلا انتصارًا لي.

حَقَقَه قلبي في نهاية آخر جَولة وقُرب الانتهاء، وهو على مَشارف الهزيمة واليأس.

وأُثبتَ بهذا الانتظار وبِذاك الغياب أن لا أحد يحيا بالحُب ولا أحد أيضًا يموت من أثره.

كما أنك أثبتُ لِي أن القوي حقًا هو من يُعلن خطأهُ،وحماقاته، هو من يُعلن ندمَه، وسقطاته وهو أيضًا من يعلن أسفه.

أشد أخطائي هي حُبك، والندم كل الندم على وقتٍ مر بصحبتك أو قُضِي من أجلك، والأسف كله لِقلب لم يكن يُدرك جيدًا ما تخفيه الصدور، وما وراء القلوب.

احتراق

وجدتني دون سابق إنذار أبكي بكاءً لا يتناسب أبدًا مع حجم ثباتي، لا يتماشى أبدًا مع سنواتي، بكاءً لا يليق بي.
جاءني الوجع الأول بصورته الخيالية الساذجة المحببة لأي فتاة متخفي بثوب يدعى "الحب".
قرابة عام كامل خدعت باسم الحب، قضيت أجمل ما يمكن للإنسان أن يقضي من وقت، عرفت أن ما يحيي الإنسان ويبقيه هو الحب، تلك الطاقة التي يبعثها الحب، يبثها في الروح فجأة فتدب فيها الحياة وينبعث منها الجمال، كل شيء بوجود الحب جميل، خلاب، رائع للغاية، فاتن بلا نهاية.
قيل لي من الكلمات أرقاها، ومن الشِعر أبلغه، ومن الغزل أفضله، قيل لي أنني معجزة تمثلت في شخص لن يُكرر، وأنني كالشمعة أضاءت كون معتم بأكمله، وحلم.. حلم لمن تاه عنه حلمه وحلم لمن تمرد عليه حلمه، و أنني الحلم الذي لا يليق بأي حالم امتلاكه!
حوصرت بألطف حروف الأبجدية وبأرق الأبيات الشعرية، وبأجمل المقطوعات الموسيقية.
كنت سعيدة أشعر بالخفة والمرح، لا أشعر بجهد نتيجة احتراقي، ورأيتني شمعة حقًا لكن بمنظور آخر بعين غير عين الحب، رأيتني هناك أجلس وحدي بعيدة أنير حيزًا عظيمًا، أشتعل وأنتهي ولا تؤذيني فكرة استهلاكي للنهاية، بل أنني كنت أتفنن بأساليب العطاء بكل سخاء!

من وقتها أيقنت أن كثيرًا ما يكون جزاء الإحسان غير إحسانًا، عوقبت بالترك وحدي هناك بآخر ركن بالغرفة بين الظلمات، بعدما أنرت كل الأماكن و أيقظت كل الأحلام، وكانت نهايتي أنه ذهب لغيري، بلا سبب وبلا سؤال وبلا رجعة.

ذهب وترك لي وجيعة لن ينساها قلبي ولن أسامح روحي عليها "كنت مجرد فترة".

أُخلص للنهاية وهو لم يكن يستحقني من بداية الأمر، بالأخير أدركت معنى كلامه بشكل صحيح مجرّد من سيطرة الحب، وجدتني حقًا معجزة لا تستحق أن تحل بدنيته وشمعة احترقت كاملًا لأجله وحلم لا يمكنه إدراكه.

بكيت بقلب أسود تعس كأنه يشيع جثمان لمثواه الأخير، وبصدر ضيق مختنق بعدما كان أوسع من حجم هذا الكون وما يحمله، بكيت بشدة ونزف حينها قلبي، وتأوهت خلاياي كاعتذار مهين أقدمه لنفسي، كمواساة عابثة مني إليّ، كنوع لرد كرامتي أمامي، كوسيلة للتعافي والتألم في الوقت ذاته، كرحمة مني بي، كنهاية مؤسفة لا يستحقها قلب كقلبي.

زيف

ككل ليلةٍ خالية إلا "منك"
وبكل يومٍ في هذا الوقت
أجلس معك، أتحدث إليك
أبوح لك وأستأنِس بك
أتقرّب منك؛ فأتقرّب لَك!
أَرسم من جديد وجهَك الذي تفوّق خيالي بصُنع تفاصيله!
أُضيف إلى تلك الرسمة ألوانًا؛ فتزداد اللوحة إبداعًا
وبالقليل من اللمسات الفنية اكتملت صورتك -بمخيلتي- تمامًا
ومعها اكتمل كل شيء بداخلي
اكتمل حُب لم تأذن له الأيام أن يدوم
اكتمل "جرح" جاهدت طويلًا كي لا يعود
وظهرت كل الأشياء بصورتها الحقيقية
ظهرت صورتك بعيدة، أكاد أن أراها!
تُهرول أنت بعيدًا بأول فرصة للهرب.
فتتركني هنا "بينك"
أتحدث معك سرًا، أستند على ما تبقى بقلبي منك
أتذكر كلمة حُب سابقة، أو نظرة شوق صادقة
أحتمي منك بغيابك
وأهرب منك إليك

هُناك شئ ما بداخلي يدفعني لمحو صورتك القابعة بذاكرتي، والتي لا تشبه حقيقة أمرك
فأحيانًا كثيرة لا تتطابق الصور مع الأصل
فعادةً ما نتجمل لنظهر على أجمل صورة
أما الحقيقة نُدركها دائمًا فيما بعد

يا أنتَ

ثبّتّ عينيَّ على شاشة ذاك الهاتف الملعون
أنتظر
أنتظر إشارة ما، أم إخطار، رسالة معينة، أم اتصال منه حتى عن طريق الخطأ
أنتظر أنا المستحيل كله
أتشبث بكل ما أمتلك من وهم بخيالات!
أينك؟
ومن أين لك بكل هذا الجفاء!
مالي؟
ومن أين لي السذاجة هذه كلها!
يا أنت
أتعلم أنني بِتُّ أبغضك كما أبغض سأم الانتظار بغيابك
أكرهك ككرهي لنظراتك الحانية، وكرهي لدفء عناقك، وللمسة يدك، ككرهي لقبلتك
أكرهك!! لا أبدًا
أكرهني أنا، ولا شيء يستحق الكره سواي

عبث

من الأفضل أن يبقى كل منا على بعد معين، ولا يقترب أكثر من ذلك.
فلا يُلام أحدًا منا على بعده، ولا يضطر أحدنا أن يُرهق نفسه بأمر القُرب.
بوقت ما ستشعر بأن الاقتراب لا يفيد ورُبما لا يضر.
"لكنه عبث"
والعبث هو أن تنفق في الشيء ما لا يستحق من وقت أو مجهود.
أن تبقى لفترة طويلة مكانك، هذا بالأمر العظيم الذي ستُدرك فَضله فيما بعد.
فبقاء حالنا كما هو عليه، لا يسبب أي إزعاج أو أذى.
الأذى هو أن نتمادى في اقتراب ساذج، نُصر على اجتياز خطوات واسعة؛ حتى نصل، فنقترب ونقترب حتى نلتقي.
لنقف بنقطةٍ واحدةٍ غامضةٍ لا تُشبهنا، لا نعرف حِينها كيف أتينا ولِم!
العِبرة يا عزيزي ليست دائمًا بالنهايات، ليست بالوصول فحسب!
السعادة تكُمن في تلك العثرات، في طول الطريق، وفي الخطواتِ البطيئةِ الثابتةِ أيضًا، التي يخطوها كلًا منا تجاه الآخر بكل ثقة، وحب، واطمئنان.
المتعة بأننا حينما نَصِل، نصل بالوقت الصحيح.
بميعاد صائب مُرضي لِكِلانا، بالوقت المناسب.
وبالوقت المُناسب ستُدرك أنه من الأفضل أن نبقى على بُعد معين فلا نحاول الاقتراب أكثر من ذلك.

عين الحب

العالم يرى أنني أحيا الحياة المثالية، كوني زوج وأبًا لطفلين رائعين، وزوجتي امرأة هادئةَ الطبع مُطيعة وغير عاملة، وهذا الأمر وحده كفيل بألاّ يخلق شِجار بيننا.

ولو أنهم نظروا بعين الحب ولو مرة واحدة لوجدوا ما لا يَسُر القلوب!

فلم أكن أنا يومًا فتى أحلامها، ذاك الشاب الذي ترسمه كل فتاة بكل مبالغة و دقة بخيالها في السنوات الأولى من مراهقتها، ولم أكن حبيبها، وهذا سبب كافٍ لهذا الهدوء القائم بين قلوبنا كسدٍ لم يسع أحدًا منا أبدًا لهدمه.

وليست هذه كل الأسباب وإنما، حتى أنا، زوجتي لم تكن حبيبتي، أو حبيبتي لم تكن زوجتي!

وأنا إن أردت قول شيئًا الآن فهو:

أن للقصصٍ بدايات ونهايات، وما تروه أنتم بداية رائعة تستحق الاقتداء بها، وحياة مستقرة متزنة، كانت هي بالحقيقة "نهايات".

نهايات بشعة مُؤلمة كل الشيء، ومُؤذية لأرواحنا، لم نتعاف نحن منها حتى الآن،

ولم نجد الحياة من بعدها ولن نجد.

نحن لا نعيش، لا نحيا، نحن لا تنتفس.

نحن، نؤدي ونؤدي ونؤدي.

حتى يَنتهي يومنا، وينتهي عامنا، وتقترب أعمارنا من "مشارف النهايات" بكل ودٍ وكل أذى.

قلوب حائرة

من هنا بدأت الحكاية تحت ذلك المطر، أخذت قصتنا شكلًا لم يرضَ أحدًا منا، ولكننا رضينا، لم يكن كأي مطر! بل إن الأمر تخطى كونه قطرات تهبط في فصل يحمل الكثير من الآهات، فاصطدمت أرواحنا بطهارتها تلك، واغتسلت بها قلوب عطنة، فأطفأت ما تحمله من لهيب، قلوب مشتتة أشبه بساعة صغيرة معلقة على جدار عظيم يبتلعها الجدار. فتصدر أنين، حتى تتعطَّل بطاريتها؛ فتنتحب وحدها طوال الليل قلوب أفرغت شحنتها، فباتت لا تعمل بالرغم من بركان الحب الثائر بها، لا تحب، قد كشف لنا المطر هذا الخطب.

فتركنا عرايا، جردنا هو- للحظة- من مشاعرنا، لنلقي نظرة أخيرة على تلك القلوب الجوفاء! لنعلم تمام العلم معنى "الندم".

قلوب حائرة أنهكها الشوق، وفتكت بها اللوعة، وفعل بها الحرمان ما فعل! فافتقدت حرارة الحب بها وانطفأت قناديل الهوى المشتعلة واحتلت العتمة القلوب، فأخذت تسري شيئًا فشيء، فصار القلب موطن الوجع! ازداد المطر في الهطول، فاختلطت به أدمع متوسلة؛ ليعلن القلب في كل نبضة "الندم "وهبت عاصفة العتاب، فكادت أن تخلع القلب من مطرحه. تيقنًا بأن وقت اللوم قد انقضى، وشعرنا سويًا برهبة الفراق، فتعانقت نظراتنا للمرة الأخيرة حاملة كل ما كان بيننا من "جهاد" لكي نبقى! ابتعدنا خطوات، وابتعدت معنا أحلامنا المعلقة، وأمانٍ ظلت كما هي أمانٍ سلك كل منا طريقنا المظلم –بمفرده– ذاك الطريق الذي لا ينيره سوى ضيّ

البرق ولا يشاركنا به عدا صوت رعد عظيم!
حاولنا محاولات عدة استبدال بطاريات قلوبنا بغيرها؛ ولكن قلوب خربة مثلها أنهت كل تلك المحاولات "بالفشل".
لتظل هي كساعة صغيرة، معلقة على جدار عظيم، يبتلعها الجدار، فتصدر أنينًا، حتى تتعطل بطاريتها؛ فتنتحب وحدها طوال الليل.

شروخ

ما ضيرك إذا التزمت الصمت أو أظهرت خلاف ما بدواخلي!
يا رجل لقد أفنيت معك كل أساليب الحديث من قبل، لا جدوى من أي مناقشة، لا حوار مُجدي فعندما كنت أبادر أنا - بكل طاقتي - بالحديث، كنت تبادر أنت -بكل رتابة- بالصمت.
كل الذين سمعوا تأوهي نعتوني بالشكاء الثائر، والآن أصبحت بنظرهم الصامت الغامض، من يختبئ بالضرورة وراءه شيئًا مريبًا.
أساؤوا فهمي، أنا من لُمت على الحديث ولُمت كذلك على الصمت.
كنت أتفنن بجذب أطراف الحديث شيئاً فشيئًا، وكنتم تبدعون في قطعه تمامًا.
علمت أن لكل امرئ منا طريقة مختلفة لبدء الموضوعات، لكني أفنيتها كلها دون جدوى.
كنت أعرض شكواي بشكل واضح، وأكرر ما يخيفني وأعيد ما يحزنني وأعلن ما ي...
لكنه
الصمت، كان الصمت سيد كل المواقف.
لا أعلم أيهما أشد وجعًا أن تبوح و تتآكل أوراقك وتسقط، حتى تصبح كغصنٍ فارغ.
أم أن الصمت القاتل هو الأكثر ألمًا، لقد ذقت مرارة الحالتين، وتحملت الأذى كله وتعلمت أنه من الإهانة لذاتي أن أتكلم مع جمادات، أمر غير

عادل قد يصيبني بالجنون
ما ضيرك إذا تكلمت وأفصحت عن هواجسي وقلقي ومتاعبي
كان صوتي يملأ الأرجاء، ونحيبي يُسمع من أول الحي، وحالي على مرأى ومسمع من الجميع.
ولكن لم يتحرك ساكن ولم يتحدث أصم منكم، لم يعانقني أحد ويضمني بشدة فيترجمها قلبي جملة اعتذار أو هدية صُلح، أو نظرة أسف، أو شعور بالندم.
عناق واحد كان كفيل بإصلاح كل شيء، كان كفيل بنسف جبال الصمت التي تحول بيننا، كان بإمكانه إبلاغي بأشياء كنت أبحر بأعينكم علّني ألمحها، كنت كالطفل الذي كسرت لعبته نصفين أمامه عينه، لكنه يبحث عنها كل يوم بشكلها الكامل.
ثم تذكره الشقوق بها أنها قد حطمت وما حطم لن يعود وإن عاد سيصبح زينة، يلقي بها على رف يملؤه الغبار كنوع من الحفاظ على الذكرى، أو الإلقاء بها في القمامة كنوع من الحفاظ على الذكرى أيضًا بطريقة أخرى.
فألقيت بكل ما يؤذيني في صندوق القمامة، رغم غلاوتها وتمسكي بها كلعبتي المكسورة أمام عيني، لكني لن أسمح أن تدور الكرّة ويلحق الكسر بي أنا.
ألقيتهم على مسافة نائية من قلبي، هناك بعيد بجانب الجمادات والأشياء الساكنة التي تشبههم.
ما ضيرك أنت في الحالتين!
ما ضررك في حديثي وما ضررك في سكوتي.
وأنت الذي تسبب لي بالأذى مرتين، وظلمني مرتين، وخسرني مرتين!

انهيار

أعتقد أنني لست في أحسن حال.
وهذا الأمر بالتأكيد لم يكن وليد هذه اللحظة.
لكنني كل ما كنت أفعله هو الإنكار، لقد تتبعت كل فنون الإنكار واحدة بعد الأخرى؛ حتى اقتنع عقلي بذلك.
"أنا بخير أعاني فقط القليل من الإرهاق"
كذبتي الدائمة، ومقولتي الساذجة.
كيف لي قول هذا وأنا أمر بأصعب الأوقات، وبأتعس اللحظات
ما الذي يدفعني للادعاء، ما الذي يحثني على النفاق؟
وما الذي يدفعهم -بمكر- للتصديق!
حاولت مرارًا إخبارهم، لكن.
بات الأمر أكثر تعقيدًا وإيلامًا، وقتما تقاسمت الطاولة مع عدد من الفراغ حولي، ولازم وقتي الملل طويلًا طويلًا، وصاحبت كوبًا من القهوة ليل نهار، عندما رافقتني قائمة طويلة من الموسيقى، ودفتر أرقص بخفة فوق سطوره، وقتما قدمت لنفسي الهدايا في وقت فارق بالنسبة لي، عندما سِرت الطريق بصحبة خيالي، وتمايلت وحدي تحت المطر بالطرقاتِ، عندما جلست لساعاتٍ أدقق النظر في كتاب، أسافر معه، أتجول بين صفحاته وشوارعه، أتعرف على أبطال قصة قصيرة في كتاب كبير يحمل العديد من القصص، لديه الكثير من الحكايات الغامضة المثيرة للشفقة المُحزنة والتي تذكرني بحكايتي أنا!

بالأخير يغمرني شعور الحُزن، رغم محاولات الثبات ومقاومة السقوط..
أهتز وأدور سريعًا بشكل غير منتظم حتى أسقط!
وتسقط معي أكاذيبي وبعضًا من الأحلام العالقة، الراقصة بين السطور، وتهوى خيالات تمايلت كثيراً خلف الستائر.
أهتز وأدور سريعًا كالمروحة المعلقة بسقف مشقق يوشك على السقوط هو الآخر؛ حتى يتمزق فيتفتت وننهار معًا فنتشارك صرخة عالية طويلة لا تنتهي!

في هذا الوقت

ها وقد حان وقت تعارك الفكر مع الوجدان.
وقت مشاجرة العقل الحادة مع القلب.
حان وقت الاضطراب والاغتراب، وأحلام اليقظه السعيدة.
أذكركم بأنه حان وقت التألم من فرط الحب، وعذاب الفراق، ودموع القلب، واللهفة والكتمان، والتفكير والحرمان.
في هذا الوقت بالتحديد تتجسد ضمائرنا في صورة أشخاص، فتصفعنا بكل ما لديها من قوة، فتنهار أجسادنا كخِرقة بالية قد انتصر عليها الزمن.
في هذا الوقت ستبدأ رحلتنا بالعتاب واللوم وصولاً "لجلد الذات".
حان يا أعزاء وقت المزج بين الشيء وضده "السعادة بالتعاسة" "الحب بالكره" "شدة الرغبة بالزهد" "الإخلاص بالخيانة"، "الصدق بالكذب"!
لا أخفي عليكم قدرة هذا الوقت على الجمع بين الماضي والآتي، فينفر بشدة من الماضي ويتودد للآتي لكي يكون أفضل.
ككل ليلة في هذا الوقت تنفجر مشاعرك كالبركان ولا تؤذي بها أحد سواك.
أعلم أنه من المرهق حقًا أنه لا يوجد من تلقي عليه اللوم باستمرار، من تعاتبه حد التوبيخ، من يحمل معك نتيجة حماقاتك!
أعرف ف أنه ليس من السهل أن تعترف بأنك تشعر "بالحاجة" الحاجة إلى المساعدة، الحاجة إلى الحديث، الحاجة إلى البكاء، الحاجة إلى عناية.
وأنه من المستحيل أن تتخلى عن دور المسؤول، الراعي، المساعد؛

لتصبح هذا الشخص الذي يحتاج إلى كل الرعاية.
أعلم تمامًا خوفك الشديد من تناقضات هذا الوقت، ومن خوفك من الاختلاء بذاتك، خوفك من سماع تلك الأصوات المرعبة الناطقة بداخلك في نفس الوقت.
يا عزيزي:
أعلم أيضًا قسوة هذا الوقت ولكن على الرغم من هذا يسمح لك بعودة كل شيء كما كان، يساعدك على التئام جرحك بشكل مؤقت لتبدأ غدًا من جديد.
سنتقابل مجددًا "فلتصبح الآن علي خير"

العرض الأخير

كأني أول مرة أستمع فيها إلى نبرات صوتي، فهذه هي المرة الأولى التي يخرج فيها هكذا بشكل صريح، واضح، صاف.
غير محمل بقطرات الدمع اللزجة، خالٍ من نوبات الصرع وسكرات الألم.
كنت لا أعلم من قبل أن هذا الصوت يخصني أنا.
أسمعه جيدًا وأتجاوب معه هذه المرة.
"صرخات"
من كل اتجاه، تقع على مسامعي صرخة تلو الأخرى وكأنها نغمات وإيقاع رتيب، كأنها جزء من مقطع مسجل من قبل مخصص لحالات الانهيار.
"صراخ"
هكذا وصفوه.
لكنها كانت الطريقة المثلى للتعبير، والعرض الهين للوجع وللتألم بصورة رحيمة
لا أحد كان يستشعر صراخي هذا، سمعت بين العويل بعضًا من الكلمات التي تهدأ من روعهم هم وليس أنا.
تلقيت بعض الصفعات بحديثهم، وانتابتني كل مظاهر الخذلان، بينما كنت أصرخ بكل حواسي وأعضائي و خلاياي.
كان أحدهم يحدثهم عن ضرورة علاجي من السحر، والآخر يناشد الجميع بأنه يجب خفض صوتي لأنه مُلفت للأنظار، وهناك من يردد بصوت هادئ أنتِ شخص لديه الكثير من الأمراض العصبية ويتوجَّب عليَّ زيارة

الطبيب، بينما كانت أحبالي الصوتية تتمزق لا أحد كان يشعر بي.
لم أجد من يميز هذا الصراخ عن غيره أو على الأقل يعيره انتباهًا، عندما كانت روحي تستغيث للمرة الأولى والأخيرة.
كانت كل الأرواح هناك ملقاة، يستمتعون بمشاهدتي كأني مباراة كرة قدم، أو سباق بين شخصين أنا وأنا.
والكل يتمنى الخسارة للاعبين.
أنا وأنا.
ربما تقع الأزمة هنا، تستوطن وتتكاثر يتعقد الأمر حتى تنعدم القدرة على السيطرة.
ممرج يبكي على المسرح، ولم يلتزم بدوره المكتوب!
تغلق الستائر ويعترض الجميع.
كان الأجدر بهم البكاء والتماس العذر أو حتى التأثر
كيف لهذا المهرج أن يبكي!
هذا نفسه ما كان يشغلني أنا.
كيف لي أن أصرخ.
غريب جدًا أمري هذه المرة، لقد راودني هذا الخاطر كثير لكني تجملت بالثبات مرات ومرات.
اعتدت أن تبكي روحي بلا أدمع وبلا عنف.
فالآن يخرج من حنجرتي صوتًا يخبر الجميع كم كنت صامدة، كم كانت الصفعات تتوالى على روحي بكل قسوة، نزيف روحي الآن أسمعه قبل الوداع بقليل، يزداد فيسلب آخر طاقة من جسدي، وآخر حلم، وآخر وجع، وآخر حبيب.

ويصعد
ثم يسحب ببطء معه آخر نفس وآخر معركة مع الروح.

اعتراف

ليتني لم أكن يومًا بتلك القوة!
التي تجعلني أصمد فأبدو شخصًا صلدًا لا يتأثر
قوتي.. اليد الممدودة لي دائمًا؛ لانتشالي من شتات أمري وفكري
ليتني لم أكن بتلك القوة.
لأعرف من سأجده بجانبي وقت ضعفي، من سيأخذ بيدي، من سيجبر كسري، ومن سيضمد جراحي.
ليتني لم أكن قوي هكذا، حتى أقوى على الاعتراف بضعفي وقلة حيلتي
فالاعتراف بالضعف "قوة" في معظم الأحيان.

استسلام

كل ما في الأمر أنني أصبحت شخصًا غريبًا غير ذلك الذي كنت أعرفه وكنت أرافقه وكنت أنتمي إليه، كأنني خُلقت وتشكلت خصالي وأفكاري من جديد، أبداً لا أشعر بالتناقض لكنني أشعر فقط بالغرابة والتشتت صرتُ لا أعلم إلى أي الأشياء بالتحديد أنتمي!

تعيس كأن قلبي لم يذق طعمًا للفرح من قبل.

كأنه قد خُلق ليكون حزين للأبد، حزين للغاية، حزين للنهاية

وكلما تعلَّق بالسعادة وتمسّك بحقه في الفرح أو حاول؛ عاقبته الفرص أشد العقاب.

كلما حاول فتح أبواب من الأمل، أغُلقت تمامًا في وجهه وكلما انتصر على ظروفه مرة، هزمته هي مرات ومرات؛ حتى اكتفى وانتهى وسأم من المحاولات وتفتت بداخله اليقين وتبخرت قواه واستسلم، وكأنه أراد بالأخير -بكل رضاك- أن يطرق الباب الوحيد الذي لم يلجأ إليه من قبل.

صرخة

أحلم دائمًا بأنني أعجز عن إصدار أي صوت، وأنني لا أقدر أن أشير بيدي لأي شخص، ولا أستطيع التحرك والكلام أو حتى، المحاولة.
الكل موجود حولي، منتشرون في كل مكان بأجسادهم فقط فلا أجد فيهم "روح" تشعر بروحي!
فلو كان الأمر يتعلق بالوجود فالكل حاضر على الورق.
فأستيقظ من نومي لأجد الواقع 'حلم' أو كان الحلم "واقع" في واقع الأمر، فأنا في الحقيقة لا أدري فقد اختلطت عليَّ الأمور.
أرى في منامي شخصًا يحاول أن يستغيث بكل الطرق، وكل الحضور مبصرين لكنهم لا يشعرون!
لا يستجيبوا بل بتدخلهم يزداد الأمر سوءًا.
مؤخرًا علمت أن وحدتي لن تقتلني، وأن يدي الممدودة لن تجني إلا الخزي.
أدركت بأني لن أموت إثر وحدتي ولكن ثقتي.
بأشخاص "غائبين" يشغلون فقط حيزًا من الفراغ، هي من ستقضي على حياتي.
تعلمت أنني إن مددتُ يدي طالبًا المساعدة فيجب أن أكون أنا أول من يربِّت عليها بقوة.
الكل يرى الحريق من حولي، لكن أنا فقط من يشعر بالاختناق.

بدون مذاق

العالم يراني مبتسمًا، ولا يعلم أن تلك الابتسامة قد اختزلت من الوجع كثيراً حتى أصبحت أنا هكذا، أبدو لهم فرح، مرح، منتشٍ.
وأنا في الحقيقة لا أشعر من الداخل بأي شيء، كأنني فجأة فقدت ما كنت أملُك من بقايا إحساس، جاهدتُ كثيرًا لكي تبقى!
فاللحظات والأيام، والشهور، والمواقف تمُر، تمر من جانبي مُنتَزَعٌ منها اللّذة والتوهّج.
-فصارت كل الأشياء عدم-
تمنيتُ لو أنني أمتلك لها وصفًا صادقًا، تعبيرًا مُنصفًا، حتى أنني أحاول أن أربط وجودها بلونٍ مميز، أو بقالب معينٍ، أو بصوت فريد، أو بشعورٍ مختلف، أو بصورةٍ ما، علّها تُعلق بذهني إلى الأبد، أو حتى برائحةٍ، أي رائحة تدوم لتذكرني بشيء!
وأي شيء سيعني الوجود، وينفي فكرة العدم التي تحاوطني من كل اتجاه.
شخص يخشى أن تنعدم به أشياء لن يكن للحياة بدونها أي مذاق، لكنه يظل محافظ -في أصعب الظروف- على تلك البسمة التي تُخبر الجميع بأنه فَرِح، مَرح، منتشٍ!
وهو في حقيقة الأمر لا يشعر أبدًا بأي شيء.

بقايا شعور

عندما كانت تهتز الدنيا من حولي كنت ثابت، وقتما كانت الجدران تضطرب كنت متزن، بينما كانت الأرض تتشقَّق وتتفتَّت كنت صلب جامد.

لا أشعر أو رُبما اخترت هذا الأمر.

"أن لا أشعر" أترك كل الأمور السيئة تسير، دونما اهتمام؛ كي أحافظ على كل هذا الصمود.

فاكتراثي بالأشياء أمر عبثيّ لن يغير من الوضع شيئًا.

سيصيب قلبي فقط بحزنٍ عميق.

بالوقت عودُّت قلبي على عدم تذوق الأشياء، فبذلك الفعل سأضمن له السلام والبقاء.

على الأقل لن يحترق بعد تناول وجبة ساخنة أو جملة مُحرقة، ولن يُصيبه شعور الصدمة من الأشياء الغريبة والعلاقات الباردة.

لن يشعر أبدًا بالغثيانِ نتيجة طعام فاسد ورأي مُحبط وإحساس مُؤسف.

دربته على التعوّد والتقبّل والاتزان، ربما هذا هو أمثل حل لقبول فكرة الاستمرار.

بينما كانت كل الأشياء تسير عكس الرغبات، كل ما يمر بجانبنا يُهدم بنا شيء ما، كنت أنا وقلبي هناك بآخر غرفة في الممر، ومن حولي الظلمة ومن أمامي الوحدة، وخلفي بقايا شعور أجتهد أن أتركها خلفي، وأرحل.

خذلان

كلّ الأشياء قيمتها تنتهي عندما تشعر بالخذلان تنعدم بعينيك الحياة تصبح صفرًا أو أقل من الصفر.

تشعر بأنك عاري فمن استأمنتهم على روحك هم من نزعوا عنك ستر الأمن هذا، يمينًا ويسارًا أشاروا به.

جعلوه مشهدًا جذابًا، مُلفت كأنه إشارة مضيئة بالألوان الفسفورية، لتراه أبعد عين على الطريق فتعرف أنك أنت المخذول، هنا مكانك حيثما وجدت وجدت الخيبات.

الخيبات موضعي، ولا أنكر أن هناك وقت يمر على قلبي يشعر فيه بأنه يستحق أن يُفعل به هذا وأكثر، أن يتركه الرفاق على أول الطريق بعد وعودهم بالأبدية، ليكمل وحده معلنًا في كل نبضة وخطوة الألم، أن يكون وحيدًا و يتقبل كونه وحيدًا يمر يومه دون أن يتذكره أحد، يشعر أنه يستحق ألاَّ يكون محبوبًا مهما قدم للآخرين حنانًا ورحمة، فليس بالضرورة أن تُرد الأشياء التي منحت بكل حب، فليس هناك ما يضمن لك أن كله ما تبذله سيُقدر، سيُرى من الأساس، أو سيشير عليه أحدهم بعين الرضا وبقلب مُمتن.

بتُّ أشعر حقًا بأنه يستحق أن يكون بهذا الوضع، وأن يشعر بما يعتريه كل ليلة من خيبة أمل وخذلان ووحدة.

اللاشيء

عندما سألني أحدهم من أكون وماذا أفعل؟
لفت نظري هذا السؤال، وكنت مِثله مُنتظر الإجابة بلهفةٍ وترقب، كأني لم أكن أعرفني ولم أتعرف عليَّ من قبل!
لم يكن سؤالًا عابرًا، أو يحتاج فقط لبضع دقائق للإجابة عليه، بل إنه سؤال شديد الصعوبة، غاية في العمق.
لا يشغلني أبدًا بما سأجيب، متى سأقدم له إجابة حتى لو كانت هزلية، أو كيف يمكنني التهرب من الرد!
كل ما شغلني حقًا من أنا، يا له من سؤال معقد جدًا!
تراخى جفني و أنا أرجع برأسي للوراء قليلًا، أحاول التذكُّر ما اسمي الكامل، ما عمري، ما هو طموحي، ما هي مبادئي، ومن هم معارفي؟
اسم مكرر ضمن ملايين الأسماء المُكررة، ورقم لا أنتمي لسنواته، وطموحات تخلت عني كما تخليت أنا من قبل عن حبيبتي، وحزمة من المبادئ التي جعلتني أتصف بالشخص المتحفظ ذات الفكر والاعتقادات ووجهات النظر القديمة، مهما حاولت أن أصبح مرنًا لا أتكيف؛ فالعالم يتغير بسرعة مُنهكة وتختفي معه الثوابت وكثير من المبادئ.
أمَّا عن معارفي فربما كانت دائرة معارفي كلها سطحية، تساقطوا جميعًا واحد بعد واحد تمامًا كأوراق الشجر في الخريف لم يتحملوا تغيُّر الفصول وتقلُّب الطقس وربما أنا شخص لا أطاق حقًا، غير مثير للدهشة في شيء، لستُ مُسلّي وأختنق من الزِحام، أرتبك من الضجيج، أتأذى من

الأضواء العالية، لا أُجيد استخدام التكنولوچيا ولا يهرني حتى مزاياها. أسافر كل صباح إلى عملي الذي يتكلف ساعتين كاملتين في الذهاب ومثلهم في العودة، ويبتلع نصف الأجر وكل العُمر، أقضي دوامي كاملًا حتى تتورم عيناي من شاشة الكمبيوتر، وتنحني عضلات كتفي، وينتهي كل مجهودي، وأصِل إلى البيت في المساء مُحملًا ببعض من الغضب، وبشيء من الحسرة، وبكثيرًا من الجُوع، ألتهم السرير كوجبة شهية ساخنة، وأعيد هذه اللفة حتى يكتمل الأسبوع، فالشهر، فالسنة، فالعمر، وهذا للأسف كُل ما أفعل!

برواز

أظن أنني تركت بين سطوري شيء ما، شيء بمقدوره أن يجعلك سعيدًا أو تعس، لا أعلم بالتحديد.
أعتقدُ أن صورتك قد تجسَّدت هنا ذات مرة، فوجدتها تنعكس بين الفواصل، ومنتشرة قبل النهايات أو أن قصتك قد لمعت وتلألأت أحداثها أمام عينيك بين الورقات.
رُبما كنت أنت ذاك البطل الذي ألجأ إليه دائمًا، وقد تكوني أَنتِ هي تلِك البطلة التي طالما استندتُ إليها لأُنهي حلقةً ما، ولأستأنف تتابع حلقات أُخرى من جديد.
وأنا!
أنا من قد قَبِل أن يزيح ذلك السِتار الثقيل شيئًا فشئ حتى يَنقشع، يَنجلي، يَختفي تمام الاختفاء.
أنا من أصبحت حياته كاللوحة الفنية الرائعة ألوانها، والمُحكم تفاصيلها، لكنها "معلقة".
رُسمت بدقة لكي تكون مُعلقة هكذا تُبهر الجميع بجمالها -فقط- ولا تَنبهر!
أجلس بداخل برواز فاخر معلَّق بأحد الأركان، أو متروك للزينة على واحدٍ من الأرفف الشاهقة.
الكتابة هي من ترفع الحِجاب بين المرء ورَوحِه، هي الصديق الوفيّ، والمُنصِت الجيد، والضمير الحي، الكتابة هي من تُعلِمك أن لا شيء ممنوع من العرض، حتى وإن كانت لوحتك البديعة السارة للجميع، المُوجعة لك

أنتَ وحدك.
وأنا لا أعلم بالتحديد مدى تأثّرك من عرض لوحاتي تلك، ولا أُدرك كيف تستقبل أنت ما وراء الستار.
لكنني على يقين أنني تركت بين يديك شيء ما، بمقدوره أن يجعلك سعيدًا أو تَعِس!

بالأخير أتمنى أن يكون هذا الكتاب قريبًا بما يكفي من قلوبكم جميعًا، مع كامل محبتي وامتناني لكل من ساندني بوقته وكان حريصًا كل الحرص على المتابعة والقراءة وإبداء الرأي وكل الشكر لمن تخلَّى؛ فجعلني في المقدمة لا انتبه له ولا ألتفت أبدًا، سنتقابل- إن شاء الله - في أعمال جديدة آمل أن تكون دائمًا قريبة منكم ومحببة لكم.

آلاء

الفهرس

الخاطرة	الصفحة
الإهداء	٤
لك أنت	٧
الحب	٨
معك	٩
أنت لي	١١
هي الروح	١٣
بك أنت	١٦
أيها الغائب	١٧
أكررها بكل صدق أحبك	٢٠
أحبك	٢١
أنت الحب	٢٢
للأبد معك	٢٣
دفء	٢٥
كن محبًا	٢٧
نغمات الحب	٢٩

لغة إشارة	٣٢
الباب الخير	٣٤
حتى لا تنسى	٣٥
بدون قناع	٣٧
بدون حواجز	٣٩
قبل الفراق	٤٠
فراق	٤٢
خيالات	٤٣
لست أنا	٤٦
لست آتم	٤٩
أما بعد	٥٢
محاولات	٥٤
بلا حياة	٥٦
أنا حي	٥٧
فرصة	٥٨
متاهة	٥٩
فراغ	٦٠

بوح	٦٢
تمرد	٦٤
حتى النفس الأخير	٦٥
لقد نفذ رصيدك	٦٨
ما وراء القلوب	٧٠
احتراق	٧٢
زيف	٧٤
يا أنت	٧٦
عبث	٧٧
عين الحب	٧٨
قلوب حائرة	٧٩
شروخ	٨١
انهيار	٨٣
في هذا الوقت	٨٥
العرض الأخير	٨٧
اعتراف	٩٠
استسلام	٩١

صرخة	٩٢
بدون مذاق	٩٣
بقايا شعور	٩٤
خذلان	٩٥
اللا شيء	٩٦
برواز	٩٨